حول الدين والديمقراطية

بقلم
نجيب محفوظ

أعده للنشر
فتحي العشري

الناشر
الدار المصرية اللبنانية

نجيب محفوظ



حول الدين والديمقراطية

الدار المصرية اللبنانية
طباعة • نشر • توزيع
١٦ شارع عبد الخالق ثروت ـ تليفون ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣ برقيا دار شادو ـ ص ب ٢٢ ٢ ـ القاهرة

AL-DAR AL MASRIAH AL LUBNANIAH PRINTING PUBLISHING DISTRIBUTION
16 ABD EL KHALEK SARWAT st p o Box 2022 CAIRO EGYPT PHONE 3936743-3923525 CABLE DARSHADO

الإخراج الفنى
الفنان محمد قطب

الغلاف
للفنان سيد عبد الفتاح

الحمد لله لولا الأستاذ
الزميل فتحي العشري لما
جمعت وجهات النظر هذه
في كتاب، فبفضله
فصّلها واستخرج نوعياتها
ونجح في إقناعي بالموافقة على
نشرها
إني أشكره وأرجو
أن يشاركني القارئ في شكره

نجيب محفوظ
٧/٧/١٩٨٩

نجيب محفوظ
بعد جائزة نوبل

فتحى العشرى

نجيب محفوظ بعد جائزة نوبل، هو نفسه نجيب محفوظ قبل جائزة نوبل .. الشخصية، الحياة اليومية، المسكن والملبس، المأكولات والمشروبات، نوع السجائر، النظارات والسماعات، الأوراق والأقلام، الأطباء والأدوية، الزملاء والأصدقاء، المقاهى والكازينوهات، السير فى الصباح والمساء، القاهرة والإسكندرية ..

صحيح أن أشياء اختفت أو تراجعت، وأشياء أخرى ظهرت أو أضيفت فى حياة نجيب محفوظ .. ولكن هل هى طارئة أو عابرة نتيجة لجائزة نوبل ؟ وإلى متى ؟.

لقد اختفت أو كادت عادة القراءة اليومية فيما عدا الصحف والمجلات، كما اختفت أو كادت عادة الكتابة اليومية فيما عدا «وجهة نظر» الأسبوعية التى تنشر صباح كل خميس بجريدة الأهرام ..

وظهرت بكثافة أضواء وكاميرات السينما والتليفزيون، ومسجلات الإذاعة والصحافة ووكالات الأنباء، كما زادت اللقاءات والمقابلات والأحاديث والتصريحات، وأضيفت مسئولية الرد على الرسائل والبرقيات والتلكسات، سواء كانت تهانى أو عقودًا أو دعوات، وكذلك التوقيع على صورته الفوتوغرافية أو صور الراغبين الشخصية أو البطاقات المرسلة.

وكثيراً ما حدث ويحدث وضع عملة ورقية من فئة الدولار أو الإسترليني في المظروفات مصحوبة بطلب التوقيع كمصروفات بريد فيوقع عليها نجيب محفوظ ويعيدها إلى طالب التوقيع.

ولهذا يقول نجيب محفوظ: «لقد أصبحت موظفاً عند نوبل» أو جائزة نوبل أو مؤسسة نوبل.

ولم تكن كل التوقعات تنتظر كل هذا الكم الهائل من الاهتمام العالمى على مدى هذه الفترة الزمنية الطويلة، منذ إعلان فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل فى الثالث عشر من أكتوبر سنة ١٩٨٨..

إن ماحدث قد فاق كل التوقعات التى لم تعد تقدر على تحديد وقت انتهاء أو انخفاض هذه الموجة الجارفة من الاهتمام، هل هو قبل أو مع إعلان اسم الفائز الجديد؟!.. أم ترى يستمر هذا الاهتمام حتى بعد إعلان اسم الفائز الجديد؟! وبالتالى هل تختفى العادات الطارئة تماماً أو نوعاً؟! أم أنها أصبحت جزءاً لايتجزأ من عادات نجيب

محفوظ الأصيلة ؟! وهل يعود نجيب محفوظ إلى القراءة والكتابة بالقدر نفسه كما كان ذلك قبل حصوله على جائزة نوبل ؟!

أسئلة لا يمكن الإجابة عنها..

أما أسرة نجيب محفوظ الصغيرة، زوجته وابنتاه، فيمكن التأكيد على أنها «أسرة ضد الأضواء» وعلى أن واحدة منهن لم تتغير شخصيتها وعاداتها، برغم تدفق الموجات الرسمية والإعلامية الأولى على البيت الصغير المطل على النيل، ربما بفضل مبادرة «الأهرام» بنقل مركز الثقل إلى «قاعة توفيق الحكيم» التى تحمل رقم ٦٠٦ ببرج الأهرام الدور السادس، والتى لم تفتح بعد رحيل الحكيم إلا لنجيب محفوظ الذى أصر منذ اللحظة الأولى على الجلوس على الكنبة الطويلة فى مواجهة مكتب الحكيم..

أما الاهتمام الذى فاق كل التوقعات فيرجع إلى أن نجيب محفوظ هو أول أديب يكتب باللغة العربية ويفوز بجائز نوبل العالمية بعد ٨٨ عاماً من بداية منح الجائزة سنوياً. فقد بدأت عام ١٩٠١ فيما عدا السنوات التى لم تمنح فيها الجائزة نتيجة لاندلاع الحربين العالميتين الأولى والثانية، وبعد ٨٤ أديباً فازوا بها كاملة أو مناصفة.. هذا فضلاً عن أنه أول أديب عربى يفوز بهذه الجائزة بعد فوز الإفريقى سونيكا، فقد حظيت القارات الأخرى بنصيب الأسد من جوائز نوبل المختلفة.

كذلك فإن عربيًا واحداً لم يفز قبل نجيب محفوظ بأى من جوائز نوبل العالمية الأدبية والعلمية فيما عدا نصف جائزة السلام التى فاز بها الرئيس أنور السادات ..

وأخيراً فإن نجيب محفوظ قد فاز وحده بجائزة ١٩٨٨ برغم الأسماء اللامعة التى كانت مرشحة معه، والمنافسة التى اشتدت فى التصفية النهائية ..

ولابد من ذكر سبب جوهرى يتمثل فى أن نجيب محفوظ لا يختلف حوله اثنان فى الداخل والخارج من ناحية، وأنه الأجدر من ناحية أخرى، خاصة فى عدم وجود العقاد وطه حسين من ناحية، وتوفيق الحكيم من ناحية أخرى، وإلا أصبح الوضع غاية فى الحرج لمؤسسة نوبل ولنجيب محفوظ نفسه وللجميع أيضاً ..

ولابد من ذكر سبب آخر هو الذى شجع على هذا الاهتمام الشديد، ويتمثل فى شخصية نجيب محفوظ ذاتها، فمنذ إعلان نبأ الفوز وهو يرحب بكل أجهزة الإعلام، فلم يختف عن الأنظار ولم يردّ أحداً، ولم يملّ الأحاديث، بل استجاب لتنظيم العملية الإعلامية، وحرص على الالتزام بهذا التنظيم وتقديره، فيما عدا الذهاب بنفسه إلى ستوكهولم لتسلم الجائزة، وتلبية الدعوات خارج مصر..

نجيب محفوظ قبل فوزه بجائزة نوبل كان يحظى على مستوى الوطن العربى بالتقدير الذى يستحقه، وكانت أعماله تنشر خارج مصر فى

أكثر من بلد عربي ، بينما على مستوى العالم لم يكن اسم نجيب محفوظ معروفاً إلا في الأوساط الثقافية ، نتيجة لترجمة بعض أعماله إلى عدد من اللغات ، وأهمها الفرنسية ، والإنجليزية ، والإيطالية ، والإسبانية ، والألمانية ، والروسية ، والصينية ، والسويدية .

وبعد فوزه بجائزة نوبل أصبح نجيب محفوظ يحظى على مستوى العالم بمزيد من التقدير ، ارتفعت نسبة توزيع كتبه وكمية المطبوع منها ، سواء باللغة العربية أو بمعظم لغات العالم ، ولم تعد تطبع وتنشر في مصر وحدها ، بل في لبنان ، والعراق ، وسوريا والأردن ، والجزائر وتونس ، والمغرب ، وفي مناطق كثيرة من العالم مضافة إلى الدول التي ذكرناها من قبل ..

وكما عرفت أعمال نجيب محفوظ طريقها إلى المسرح والسينما والإذاعة والتليفزيون في الوطن العربي قبل فوزه بجائزة نوبل ، بدأت تزحف بعد فوزه بجائزة نوبل إلى إذاعات وتليفزيونات العالم ، بل وتم الاتفاق بالفعل على إنتاج بعض أعماله في السينما العالمية ، وتقديم بعضها على مسارح العواصم الهامة ..

وبعد فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل ، بدأت دور النشر العربية في تقديم بعض أعماله بشكل مبسط مزود بالصور والرسومات للشباب والأطفال ..

ولكن حتى هذه اللحظة لم تكن دور النشر العربية والعالمية قد فكرت في نشر مقالاته الطويلة أو القصيرة ..

وهذه المجموعة من الكتب هى باكورة منشورات الدار المصرية اللبنانية الخاصة بإنتاج نجيب محفوظ من المقالات، بعد أن اقتنع صاحب الدار الأستاذ محمد رشاد بالفكرة، وأقبل على تنفيذ المشروع بترحيب من نجيب محفوظ.. وهى مقالات كتبها نجيب محفوظ فى السنوات العشر الأخيرة، على أمل نشر مقالاته السابقة على تلك الحقبة ومنذ الأربعينيات..

هكذا فكرت ونقبت واخترت وأعددت هذه المقالات فى ثلاثة كتب هى «الدين والديمقراطية» و«الشباب والحرية» و«الثقافة والتعليم» لتكون البداية، بعد أن أضاف نجيب محفوظ إلى كل منها كلمة «حول» تعبيراً عن تواضعه المعهود..

وهكذا تحققت تلك الفكرة وظهرت تلك المقالات إلى النور مرة ثانية وإلى الأبد..

أما مقالات هذا الكتاب «حول الدين والديمقراطية» فقد نشرت جميعاً بجريدة الأهرام فى الفترة من ١٩٧٤/٦/٨ حتى ١٩٨٥/١١/٢٨.

والثقة كل الثقة، فى أن تحظى الكتب الثلاثة بالتقدير والانتشار اللذين تحظى بهما أعمال نجيب محفوظ الروائية والقصصية والمسرحية.. والثقة كل الثقة، فى أن تترجم هى أيضاً إلى معظم لغات العالم، بل كل لغات العالم.. والله هو الموفق دائماً!

الدين والمدرسة

يدرس الدين في المدرسة كمادة علمية، تعرض أبوابها آيات قرآنية وأحاديث نبوية وعقائد وعبادات، ونحواً من السير. يحفظها التلميذ ويمتحن فيها، ثم ينساها بعد ذلك كما ينسى غيرها من العلوم التي تخرج عن نطاق تخصصه. وهو لا يكاد يهضم منها إلا القليل، ويتعثر بين معانيها الدقيقة وأسلوبها الجزل، ويعاني في ذلك ما يعاني.

الدين ليس علماً من العلوم، ولا فرعاً من المعرفة، ولكنه تربية روحية يتجلى جوهرها في المعاملة والسلوك والرؤية. بدليل أنه كثيراً ما يحدث أن يوجد تلميذ متفوق في الذكاء وسيىء في الخلق، فيحصل على أعلى درجة في الدين، وفي الوقت نفسه قد يرفت لسوء خلقه! ولذلك ينشأ التلميذ وهو يعتقد أن لا علاقة هناك بين الدين وبين الحياة اليومية، وبين العمل بها من ناحية أخرى.

لذلك فإنني أدعو إلى أن يكون درس الدين تربية روحية، تتلقى

في جو من التعاطف والإرشاد والمحبة، بعيداً عن معاناة الحفظ والتسميع والخوف من السقوط، مع الاقتناع الكامل بأن الدين ليس معرفة تحفظ، ولكنه معاملة وسلوك تقوم عليها الحياة الإنسانية الكريمة.

ولذلك أيضاً فإنني أتصور أن تكون السيرة هي العماد الأول لهذه التربية بما هي حياة وسلوك ورؤية ومثل أعلى، فتدرس السيرة النبوية بدءًا من السنة الأولى الابتدائية حتى السنة الثانية الثانوية، تعرض في السنة الأولى في صورة مبسطة يسيرة، ثم تتدرج في النمو والتفاصيل عاماً بعد عام، وتتضمن من الآيات ما يناسب المقام وما تتطلبه الحاجة، فآيات الصلاة تقرر في سن معينة، كذلك آيات الصوم، مع التركيز على آيات القيم والأخلاق والأهداف الإنسانية. وعلى أن يتم تقدير التلميذ في هذا الدرس أيضاً من خلال سلوكه بين أقرانه، ومعاملته لمدرسيه، موقفه من تحصيل العلم، ورأيه في العدالة الاجتماعية والعنصرية والتسامح الديني، وعدم التعصب، والوحدة القومية.

أما في السنة الثالثة الثانوية فيدرس التلميذ كتاباً يتضمن نخبة من آراء قادة الفكر المسلمين ــ وغيرهم منْ المنتمين إلى ديانات أخرى ــ في الإسلام وقيمه الإنسانية، ورسالته في العصر الحديث.

وأتصور أيضاً أن تكون درجة نجاح التلميذ في مادة «السلوك» هي درجة نجاحه في التربية الدينية.

٨/٦/١٩٧٤.

قضية المنابـــر

(١) هل توجد فى شعبنا تيارات سياسية مختلفة

نعم ، إذ أن حل الأحزاب يلغى نشاطها الرسمى فحسب ، أما وجودها فلا سبيل إلى اقتلاعه ما دامت تتوفر أسبابه من اختلاف الآراء والمصالح . وإنها لحقيقة لا يمارى فيها إنسان أنه توجد تيارات سياسية متضاربة ، مثل الماركسية والليبرالية والدينية ، بالإضافة إلى الاشتراكية الديمقراطية التى تمثل ثورتى ١٩٥٢ و١٩٧١ ، والتى رفع شعارها الاتحاد الاشتراكى .

(٢) هل وجدت هذه التيارات سبيلها إلى الاتحاد الاشتراكى ؟

نعم ، وقد وضح ذلك بصورة بينة عند إنشاء المنابر المقترحة ، اقترح إنشاء منبر يسارى ، وثان دينى ، وثالث ليبرالى .. الخ .. وإذن فهذه التيارات موجودة فى الاتحاد الاشتراكى ، وهى تعمل فى نطاق « تحالف قوى الشعب » مجمدة نشاطها الذاتى الخاص امتثالاً للظروف

الراهنة التى يمر بها الوطن العربى. هذا ويؤمن البعض بصلاحية صيغة التحالف لكل زمان، على حين يؤمن البعض الآخر بأن الحياة السياسية الصحية تقتضى قيام الأحزاب إن عاجلاً أو آجلاً بحسب الظروف والأحوال.

(١) إلى أى فريق تنتمى أنت؟

إنى أنتمى إلى فريق الأحزاب، وذلك للأسباب الآتية:

١ـ إنه لا ديمقراطية بلا أحزاب ولا حرية بلا أحزاب.

٢ـ إن الديمقراطية السياسية لا تتناقض مع الديمقراطية الاجتماعية.

٣ـ إن الأحزاب حقائق واقعية، وعلى ذلك تنحصر المسألة فى الآتى: «هل نعترف بالواقع أو نتجاهله؟».

٤ـ إن ما أصاب حياتنا الحزبية فى الماضى مرجعه إلى الاستعمار والعرش لا إلى الحزبية نفسها.

٥ـ إنه برغم غلبة السياسة على حياتنا الماضية فقد تحقق فى ظلها تقدم اجتماعى لا بأس به، مثل قوانين العمال، وإعفاء صغار الملاك الزراعيين من الضرائب، ومجانية بعض مراحل التعليم، وتقرير معاشات للعجزة وكبار السن، كما تكونت فى ظلها قاعدة صناعية.

٦ـ إن فساد حياتنا السياسية، فى الماضى لا يرجع إلى الديمقراطية فى الواقع، ولكن إلى الديكتاتورية، فإننا لم نحكم حكماً حزبياً ديموقراطيا إلا بضع سنين، أما بقية العهد كله فكان حكم فرد واحد، هو الملك أو السفير البريطانى، ففساد الماضى يرجع إلى

الدكتاتورية ، واستمرارها بعد ١٩٥٢ هو الذى أوشك أن يقضى على الثورة نفسها ، لولا جرعات من الديمقراطية أمدت بها نفسها فى ثورة التصحيح .

(٤) هل ترى قيام الأحزاب فوراً ؟

لا بأس من أن تبدأ بتجربة المنابر.

(٥) وما تصورك عن المنابر:

أن تقوم على أساس الواقع ، أى التيارات السياسية الموجودة فى الاتحاد الاشتراكى ، بشرط ألا تمارس نشاطاً فكرياً مستقلاً كالدعوة إلى فلسفاتها المختلفة ، ولكن نكتفى بالإدلاء برأيها عند التطبيق فى المسائل التى تشغل بالنا مثل الانفتاح ، دور القطاع العام ، الضرائب ، التعليم الخ ..

(٦) هل يحقق ذلك الديموقراطية المنشودة ؟

بشرط أن تلتزم السلطة التنفيذية بالرأى الذى يفوز بإقناع أغلبية الاتحاد .

١٩٧٥/١١/٢٩ .

الإسلام وصراع المبادىء

تحتدم المنافسة بين العقائد بقدر ماتتشابه فى الوسائل والغايات. من هنا جاء الشعور بالمنافسة بين الإسلام والديموقراطية الغربية من ناحية، وبينه وبين الشيوعية من ناحية أخرى. فالديموقراطية الغربية مذهب متكامل من النظرية والتطبيقات، اعترف بحقوق الإنسان، والاقتصاد الحر، وحقق إنجازات رائعة فى ميدان التقدم. كذلك الشيوعية مذهب متكامل له فلسفته واقتصاده وأسلوب حكمه، وهو يطمح إلى الأممية فى رحاب مساواة كاملة لا تفرق بين أبيض وأسمر وأسود وأصفر من البشر، وحقق كذلك إنجازات رائعة فى ميدان التقدم. ويقف الإسلام بين الاثنتين مناضلاً ينفض عن جفنيه آثار نوم طويل عميق فى ظلام الجمود والتأخر. ولاشك أنه يشعر بتأخره فى مجالات الحضارة الحديثة، فى العلم والتكنولوجيا والقوة المادية، ويشعر فى الوقت نفسه بكبريائه التاريخى وتراثه المجيد، فيضاعف ذلك

من أزمته ويدفعه إلى التفكير الدءوب لتعويض ما خسره، واسترداد ما فاته، ثم إلى تحقيق ذاته بما يتناسب مع رسالته.

ولعله لا يجد نفسه فى تناقض حاد مع الديموقراطية الغربية، أجل إن نظامه الاقتصادى يختلف عن النظام الرأسمالى، ولكن الديموقراطية الغربية، لا تنفى الدين، ويمكن ترجمة حريتها السياسية إلى مبدأ الشورى، أما جريمتها الكبرى ــ الاستعمار ــ فقد صفيت أو كادت، وأما الحساسية نحو تقليد الحضارة الغربية والدعوة للأصالة فليست على أى حال بالمشكلة التى تستحق امتشاق الحسام أو استعداء السلطات، كما هو الحال مع الشيوعية.

الشيوعية ذات خطورة لا يمكن تجاهلها، انتشرت فى نصف الأرض. وهى تنتزع من أحضان الإسلام أفراداً وجماعات، وهى تنتشر بما توفره للناس من عدالة ومساواة برغم فلسفتها المعروفة، وطريقتها فى الحكم، فكيف يتصرف المسلم المسئول ازاء هذا الخطر؟. إنه لم يفعل حتى الآن إلا صب الاتهامات، واستعداء السلطات، أو الإسهام بقدر متواضع فى مناقشات سطحية، ولو أن وسيلة من هذه الوسائل كانت مجدية حقًّا لما قامت للديموقراطية بناية، ولا نالت أمة استقلالاً، ولا انتصرت الحرية فى أى مكان، ولا تحققت رسالة المسيحية والإسلام من قبل. ولا أظننى فى حاجة إلى إقامة الدليل على أن الإرهاب والاتهام والسطحية وسائل فاشلة فى مقاومة العقائد، وإنما تتوكد العقائد بجدارتها الذاتية وماتنفع به الناس.

ولنرجع إلى الوراء خطوات ولنسأل لمَ انتشر الإسلام يوم انتشر؟.
حقق الإسلام للإنسانية مزايا لم تجتمع فى مذهب واحد قبله أو فى أيامه، فقد:

١ ــ وفر للفرد حرية كريمة وقداسة فجعله خليفة الله فى الأرض، وأمر الملائكة بالسجود له.

٢ ــ وفر للمجتمع عدالة اجتماعية شاملة، لا تحارب النشاط الفردى ولكنها تحارب الفقر والحاجة ولا تسمح بوجودهما فى المجتمع الإسلامى.

٣ ــ أمر الإنسان بالعمل والتعمير وتحصيل العلم والحكمة.

٤ ــ احترم العقائد الأخرى، ففى رحابه عمل اليهودى والمسيحى جنباً إلى جنب مع المسلم فى حرية وكرامة ومساواة، إلى ما استجد من مبادىء إنسانية فى السلم والحرب والعلاقات الدولية. وما أريد التقصى أو التعريف الشامل، ولكنى أريد أن أقرر أن الإسلام اعتبر فى عالمه فى ذلك الوقت عقيدة متقدمة ــ أو تقدمية ــ فى إنسانيتها عما كان يسود فى البلاد المحكومة بفارس أو بيزنطة، وأنه فى ذلك يكمن سر الترحيب به كما يكمن سر انتشاره فيما بعد. ولا معنى ــ فى نظرى ــ لأن الإسلام يصلح لكل زمان ومكان إلا أنه يستطيع دائماً وأبداً أن يحتل مقعد التقدم على غيره من المذاهب فى أى زمان ومكان، وأنه يستطيع أن يستدرك بالاجتهاد ما فاته فى عهد الانحطاط والظلمات. عليه أن يفحص ذاته فى مقارنة موضوعية مع مذاهب الحكم والسياسة ليرى ما ينقصه، وما عليه إلاّ أن يستكمله ليظفر

بالاقتناع الكامل فى قلبى الرجل والمرأة المعاصرين. عليه أن يوفر للفرد من الحرية ما توفره الديمقراطية الغربية أو أكثر، عليه أن يوفر مناخ تسامح ومحبة للمخالفين له فى الرأى أو العقيدة أفضل مما يتوفر لهم فى كنف أى مذهب آخر. بذلك ــ وبذلك وحده ــ يصبح الإسلام فردوساً لا يرضى أحد معتنقيه بالخروج منه لأى سبب من الأسباب، بل ويصبح مركز جذب للآخرين، أما صخب السباب، وافتعال التهم، واستعداء الشرطة، فوسائل عقيمة لم تجد قديماً ولن تجدى اليوم أو غداً. وإنه لعمل ضخم، يتطلب مؤمنين صادقين، علماء راسخين، مجتهدين غير هيابين، معاصرين مجددين، يُنْدَبُونَ فى هذه الساعة الحاسمة لخدمة الدنيا والدين.

١٩٧٦/٧/٢٦.

اللَّهُمَّ

اللهم ياذا المن ولا يمن عليه ، يا ذا الجلال والإكرام ، اللهم حبب إلى العرب الحضارة كما حبب الشيطان إليهم اقتناء السلاح ليقتل عضهم البعض ويكيد بعضهم للبعض . اللهم ألهم أهل لبنان ابفعل ما فيه خير لبنان كما ألهمهم الشيطان بارتكاب ما فيه خير إسرائيل يا ذا المن والإنعام . اللهم أقنع العرب باستثمار أموالهم فى بلاد العرب دلاً من استثمارها فى بلاد الاستعمار يا ذا الهداية والإرشاد . اللهم قن موظفينا آداب الدين وأشرب قلوبهم كراهية الروتين لخدمة جمهورنا لمسكين يا أرحم الراحمين . اللهم أيد ذوى العزم والصدق فى محاربة لإهمال ، فإنه يلهو بتفجير أنابيب البوتاجاز وإشعال النار فى المصانع ، تسميم الأبرياء من الفلاحين ، أيدهم لتحريك الزواجر وإيقاظ الضمائر ا باذر العزيمة فى السرائر . اللهم ساند ذوى العزم والصدق فى طاردة الفساد حتى لا يكرر ألاعيبه فى هيئة الأوقاف والاتحاد

التعاونى الزراعى ، وذكرهم بطوفانك العتيد يا ذا العقاب الشديد. اللهم نجنا من المستهترين ؛ فإنهم ينتفعون بالفساد والمفسدين ، ثم يتوارون بعيداً عن الرقباء فيشكون مع الشاكين ، وأنت بكل شيء عليم . اللهم خفف عن عبادك فى ساعات الحشر اليومية ، فى وسائل المواصلات الشعبية ، وطوابير الجمعيات الاستهلاكية ، يا ذا الألطاف الإلهية . اللهم اجعل انتخاباتنا حرة ، ومنابرنا صادقة فى التعبير عنا ، وديموقراطيتنا نقية وقوية ، يا ذا العدالة الربانية . اللهم شدد قبضتك على من يسرقون الجواهر، ومن تُسرق منهم الجواهر، وتلك الجواهر نداولها بين الناس يا إله الناس أعوذ بك من الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس . اللهم إن كنت كتبتنى فى أم الكتاب مهملاً أو مفسداً أو مستغلاً أو منافقا فامحقنى محقاً واذرنى مع الرياح يا ذا الأمانة والفلاح .

● خاتم الأنبياء

الشاعر والمفكر الإسلامى إقبال له رأى فى العقيدة القائلة بأن محمداً عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء والمرسلين .. يقول إقبال :

« إن النبوة فى الإسلام لتبلغ كمالها الأخير فى إدراك الحاجة إلى إلغاء النبوة نفسها . وهو أمر ينطوى على إدراكها العميق لاستحالة بقاء الوجود معتمداً إلى الأبد على مقود يقاد منه ، وإن الإنسان ، لكى يحصل كمال معرفته لنفسه ينبغى أن يترك ليعتمد فى النهاية على وسائله هو » .

ومعنى هذا أن على الإنسان ألا ينتظر وحياً جديداً، وألاّ يعتمد على وسيلة من وسائل المعرفة التى تشابه الوحى فى تلقائيتها وشمولها، وأن يحدد لوجدانه وغرائزه وظيفة غير وظائف المعرفة، وأن يجعل من العقل وحده الوسيلة الإنسانية الحقة للمعرفة. ويبقى للدين دوره الخطير فى الوجود، وهو دور الوصاية على العقل، لا بكبته أو تحديد مجاله، أو التدخل فى تطلعاته، ولكن بضمان استغلاله لخير الإنسان والوجود، وصده عن مغريات التدمير والهلاك، ونشره الحب لواء يستظل به المفكرون، ويتقون به نداءات الأنانية والكبرياء والعبث واليأس. بذلك يتقدس العقل، ويحقق غزواته، فى رحاب الكون وحقيقته العليا، ويصبح تكريس الحياة له عقلانية وعبادة فى آن.

ومعنى هذا أيضاً أن أكرم ما يكرم إنسانيتنا ويشرفها أن نعنى بالعلم والعلماء، وأن نبوئهم المكانة التى اختارها الله لهم فى طليعة المراكز القيادية، وأن نوفر لهم ما هم أهله من المطالب والمزايا والوسائل، وألا نضن فى سبيل ذلك بجهد أو تضحية أو مال. هذا ما يقتضيه العصر وما يأمرنا به الدين.

وذلك طبيعى فى دين لم يعتمد على المعجزات وحدها، ولكنه قام على التأمل والنظر والتعقل.

وذلك طبيعى فى دين يجعل من طلب العلم فريضة على كل مؤمن به، ويرفع منزلة العلماء، ويفضل العالم على العابد.

• البحث العلمى

عن موضوع البحث جاءتنى رسالة من الدكتور محمود دوير من معهد ماكس بلانك من ألمانيا الغربية.

هو باحث مصرى لم يجد فى بيئته العلمية ما يشجعه فهاجر إلى ألمانيا الغربية. وله ملاحظات قيمة سأسردها فيما يأتى، ولن أتخلى عن هذا الموضوع ما دمت أعتقد أنه الأساس الحقيقى للنهضة المأمولة. وإليكم ملاحظات الدكتور محمود دوير:

١ ــ لدى مصر عدد لا يستهان به من العلماء الذين فى إمكانهم إجراء أبحاث علمية على أحدث نمط، إلا أن مصر فى حالتها الراهنة لا تستطيع أن توفر لهم المال اللازم للبحث العلمى، وأن على العرب الأغنياء واجباً فى هذا الشأن، سواء دعموا البحث العلمى فى مصر، أم أقاموا لهم فى بلادهم مراكز للبحوث يعمل فيها الموهوبون من علماء العرب.

٢ ــ إنه بالرغم من مصاعبنا الاقتصادية فى مصر فإنه فى الميسور تحقيق تقدم فى البحث العلمى إذا اعتمدنا على التركيز. وهو يقصد التركيز على عدد محدود من الموضوعات التى يثبت أنها أكثر تقدماً من غيرها فى مصر. فإذا ثبت أن دراسة ألياف القطن والخشب أكثر تقدماً من دراسة النيلون والبوليستر فهى الأولى بالعناية. ثم يجمع أكثر الباحثين خبرة وموهبة فى هذه الموضوعات المحددة، ويمنحون ما يلزمهم لإجراء البحوث، أما

الموضوعات فيستمر البحث فيها على مستواه الحالى، أو يشجع فى حدود المستطاع.

٣ــ ألا يتم التعيين فى معاهد البحث العلمى مع وظائف ثابتة، ولكن بعقود، تجدد أو لا تجدد بحسب ما يثبته الباحث من صلاحية، ثم ينقل الباحث إلى الوظيفة الثابتة بعد التيقن من كفاءته.

هذه هى ملاحظات الدكتور محمود دوير الذى نتمنى عودته إلى وطنه مع بقية علمائنا المهاجرين، وأن يقيم الوطن للعلم معابد لا تجرى فيها همسة شكوى، ويعكف فيها العلماء مطمئنين على التفكير الصافى والتجريب الدءوب فى رحاب عشق الحقيقة.

• محكمــة!

يقول الأستاذ عبد الحليم حسين عبدالحليم بكلية طب المنصورة فى رسالته، «فقراء وشرفاء، وأغنياء غير شرفاء»: من هذا الأساس نبدأ، بالطبع نقصد بالمجموعة الأولى السوفييت وبالمجموعة الثانية الأمريكان، وواضح من هذا ومن كتاباتك بصفة عامة أنه يغلب على تفكيرك اتجاه معين، فأود أن ألفت نظر سيادتكم إلى أن مقرر بهيمية الإنسان هو فرويد.. ومقرر بهيمية التاريخ هو كارل ماركس. وأما الكاتب الذى يدعو للعبث فهو جان بول سارتر، وأظنك لا تجهل الخيط الذى يربط بينهم وهو أنهم كلهم يهود».

وعلى رأيك هذا أبدى الملاحظات الآتية:

١ ـ إن كنت فهمت من كتاباتى أننى ماركسى فإما أننى لم أحسن التعبير عن آرائى، وإما أنك تعجلت فى الحكم، وقد حاولت مراراً أن أكون ماركسياً ولكننى لم أستطع، فعدلت عن ذلك نهائياً، ولكن فى الماركسية مبادىء إنسانية وعدالة اجتماعية تستحق الإعجاب والاحترام، وهى مطروحة على البشرية من خلال تجارب عديدة يمكن الانتفاع بها لمن يشاء.

٢ ـ أصارحك بأننى معجب بالاتحاد السوفييتى، كما أننى معجب بالولايات المتحدة، وقد حقق كل منهما تقدماً مذهلاً لا غنى للإنسانية عن إنجازاته، غير أن هذا الإعجاب لا يخفى عن عينى عيوبهما، وعن المقارنة بين الجوانب السلبية لا أجد مناصاً من تفضيل الاتحاد السوفيتى. فمهما يكن من أخطائه فليس فيه عنصرية، ولم يتورط فى إثم ضد أمة بقوة إثم الولايات المتحدة، فى فيتنام، ولم يرتكب أكبر جريمة فى تاريخ البشرية، وهى إلقاء أول قنبلتين ذريتين على بنى الإنسان دون ضرورة ملحة، ففتح باباً قد يقضى على البشرية بالفناء.

٣ ـ مهما يكن رأيك فى مدرسة التحليل النفسى، أو فى الماركسية، أو فى الوجودية، فلا شك فى أن فرويد وماركس وسارتر من كبار المفكرين فى تاريخ الحضارة الغربية، ومن حقك أن تنقد آراءهم، وأن ترفضها، ولن يتأتى ذلك إلا بمناقشتها المناقشة العلمية الموضوعية، أما تصوير فلسفاتهم فى صورة مؤامرة عالمية دبرها اليهود للعبث بالعالم فلن يعنى إلا أنك تضخم من عظمة

اليهود وعبقريتهم فوق ما يستحقون، وتقلل من حكمة بقية البشر وكأنهم ألعوبة تلهو بها العبقرية اليهودية!

وفضلا عن ذلك فمدى علمي أن سارتر ليس يهودياً كما أنه لا يدعو للعبث ولكنه يدعو للالتزام بالإنسانية وقضاياها.

١٩٧٦/٨/٩.

منبر لا صفة لـــه

عن أكثر من مصدر سمعت أن غير قليلين ينوون ترشيح أنفسهم كمستقلين، وتعريف المستقل فى هذا العصر هو من ليس يمينيًّا، ولا وسطيًّا، ولا يساريًّا، وبحكم رواسب الماضى لم أرتح لصفة الاستقلال بالمعنى السالف، ولعل مرجع ذلك إلى الدور الذى لعبه المستقلون فيما قبل ثورة يولية. فقد ترفعوا فى الظاهر عن الانتماء إلى الأحزاب القديمة، ونأوْا بأنفسهم عن الصراع الحزبى بكبرياء التعفف، أو تعفف الكبرياء، ولكنهم كانوا فى الواقع أعجز من أن يخوضوا صراعاً أو يواجهوا الجمهور، أو يتعرضوا لخسائر المعارك، فلاذوا بما سموه الاستقلال، ولعبوا لعبة ماكرة بين الأحزاب يساومون هذا وذاك، وينتفعون بهذا وذاك، ثم يدخرون أنفسهم للانقلابات الملكية فيكون منهم النواب والوزراء.

ترى ما جدوى الاستقلال اليوم؟. ما مغزاه وما هدفه!. دعونا نحاول تفسيره لعله يهدينا إلى الحكمة فى وجوده، فما معنى المستقل!.

١ ـ ربما كان الشخص الذى لم يجد ذاته لا فى اليمين ولا فى الوسط ولا فى اليسار، وإنه لاستقلال سلبى عجيبٌ ينفى عن صاحبه أى هوية، ويجعل منه شخصا بلا صفات سياسية حتى ليتعذر علينا تصديق ما يدعيه.

٢ ـ وربما كان الشخص الذى يرفض المنابر، والمبادىء الثلاثة التى تلتزم بها المنابر، والحل الاشتراكى، وربما الثورة نفسها بمرحلتيها المعروفتين، فهو يتخذ من الاستقلال ستاراً يخفى به رفضه، وهويته الباطنية.

٣ ـ وربما كان الشخص الذى يعجبه فى اليمين شىء وفى الوسط شىء وفى اليسار شىء، ولم يتأت لمنبر بعد أن يحتويه بالكامل فهو يعلن استقلاله ليؤيد الرأى الذى يعجبه أياً كان مصدره، ويعترض على مالا يعجبه أياً كان مصدره، ولا يلتزم فى تلك الحال إلا بالمبادىء الثلاثة التى تلتزم بها المنابر، وهى حتمية الحل الاشتراكى، والسلام الاجتماعى، والوحدة الوطنية، وهذا الاستقلال إيجابى كما ترى، وقد يؤدى عنده الضرورة دوراً، ولكن يمكن تجاوزه بشىء من التأمل والإرادة.

وفى جميع هذه الأحوال فالترشيح على أساس الاستقلال عود إلى انتخاب الشخص بصفته الشخصية لا كممثل لرأى، ونحن نريد لانتخاب «الرأى» أن يبرز، ولانتخاب الشخص أن يندثر. حتى

تتطهر المعركة الانتخابية من العصبية الفردية، وليتسع مجالها لصراع الآراء والمبادىء.

ومن خلال مناقشة مع بعض الشخصيات فى هذا الموضوع فهمت أنهم تقدموا للانضمام إلى التنظيم الذى يتوافقون معه، ولكنه لم يوافق على انضمامهم إليه، فهم لا يجدون مناصاً من ترشيح أنفسهم على مبادىء التنظيم برغم عدم ترشيحه لهم، وهو تصرف يتسم بالشرعية والصدق، ولا يخل بالروح المنشودة للتجربة الجديدة.

نحن نريد أن نبدأ التجربة الجديدة بوضوح في الأفكار والمواقف، لنتجاوب مع عصر يطلق عليه أحيانا عصر المبادىء، ولا يعنى الاستقلال فيه إلا الانتهازية أو الضياع.

• حوار مع القراء عن الإسلام وصراع المبادىء:

أثارت كلمتى عن الإسلام وصراع المبادىء اهتمام كثيرين من القراء فتجمع لدى عدد وفير من الرسائل، ما بين محبذة لتصورى أو رافضة منتقدة له.

من الطائفة الأولى رسائل السادة الحسينى أحمد جلال [الحامول منوفية] وسيد عوض المدرس بطنطا ومحمد عبدالله [طب أسنان القاهرة] والأستاذ وليم ميخائيل [أستاذ بالجامعة الأمريكية]، وفى رسائلهم جميعاً دعوة صريحة متحمسة إلى:

١ ــ دراسة المذاهب السياسية المعاصرة دراسة موضوعية علمية بلا اتهام أو مهاترات.

٢ــ دراسة إمكانات الإسلام لمواجهة العصر ومشكلاته، وخلق مجتمع حديث متفتح يهيىء لأهله التقدم والازدهار فى جو من الحرية والعدالة والتسامح، ولو اتسعت هذه الفكرة لنشر رسائلهم لنشرتها بنصها فهى تستحق أن تنشر وأن تقرأ وأن تستوعب.

أما الطائفة الثانية فهى رسائل السادة محمد سعيد أبو الخير [الإسكندرية]، وحمزة الجميعى المدير العام السابق بوزارة المالية، والدكتور محمد فتحى الشاذلى [كلية طب الاسكندرية].

وملخص رسالة الأستاذ محمد سعيد أبو الخير:

١ــ حملة عنيفة على الشيوعية والدول الشيوعية، واتهام مبادئها بأنها زيف فى زيف.

٢ــ حملة على عملاء الشيوعية فى مصر وكيف قاومهم المسلمون الصادقون وهم ــ العملاء ــ فى مراكز السلطة، وكيف تعرض بسبب ذلك المسلمون للتعذيب والتنكيل.

٣ــ الترفع عن عقد أى مقارنة بين الإسلام كدين سماوى وبين الديموقراطية والشيوعية كمذهبين وضعيين، واعتبار ذلك خطوة أولى تتبعها خطوات للنيل من القرآن العظيم.

وللأستاذ حريته الكاملة فى أن ينقد الشيوعية وغيرها بما يراه، ولكنه أساء الظن بنا بلا مبرر، فنحن دعونا إلى المناقشة بدلاً من المهاترة، وأردنا من الدراسة والمقارنة أن يثبت القادرون أن الإسلام يحوى من المزايا الإيجابية لخير الإنسان ما تحويه الديمقراطية والشيوعية

معاً من القيم الإيجابية أو ما يفوقهما معاً، وأن ذلك لن يتأتى إلا بالدراسة والمقارنة والإقناع، لا بالمهاترات واستعداء السلطات، ومن المجهودات العلمية التى تذكر فى هذا المجال كتاب «الشريعة الإسلامية كمصدر أساسى للدستور» للدكتور عبد الحميد متولى، و«إسلام.. لا شيوعية» للدكتور عبد المنعم النمر، وهما كتابان لا غنى عنهما لمن يهمه هذا الموضوع.

وملخص رسالة الأستاذ حمزة الجميعى:

١ ـ اعترض الأستاذ على جملة وردت فى مقال سابق لى قلت فيها على لسان الغير.. ونتساءل فى عجب: «إذا كان الإسلام كما تقولون فلم لم تدعوا أنفسكم إليه قبل أن تدعونا إليه نحن؟» وعلق على ذلك بقوله: «إذا جاز هذا الاعتراض لغير المسلمين فلا يجوز للمسلمين» واعتبره انتقاداً للإسلام نفسه!

٢ ـ لخص تلخيصاً وافياً معنى العدالة فى الإسلام.

لا أرى كيف فات الأستاذ أن اعتراضى على المسلمين لا الإسلام، وهو نفسه يقول فى رسالته «يجب أن أوضح أولاً أن الإسلام ليس سبباً فى جهل المسلمين وانحطاطهم.. إن السبب الحقيقى يكمن فى المسلمين الحاليين الذين لا ينتسبون إلى الإسلام إلا بشهادة الميلاد، وقد أغنانى الأستاذ عن الرد بهذا الكلام الذى لم أقصد سواه.

* * *

وملخص رسالة الدكتور محمد فتحى الشاذلى :

أورد آيات شريفة من القرآن الكريم، منها على سبيل المثال : «وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» ثم عرض مناقشته كالآتى :

١ــ هل لم توفر هذه الآيات البينات مناخ التسامح للمخالفين له فى الرأى والعقيدة ؟

٢ــ لم تأت الآيات المذكورة بصخب السباب واستعداء الشرطة كما تقول سيادتكم فى المقال .

وواضح جداً ــ يا سيدى الدكتور ــ أن الآيات توفر جو التسامح للمخالفين فى الرأى والعقيدة، وواضح أيضاً أنها تعالت عن السباب واستعداء الشرطة، ولكن كيف تصورت أننى اتهمت الإسلام بالتعصب أو السب في الخطاب ؟!. لقد كانت كلمتى موجهة للمسلمين باعتبار أن التعامل يمارس عادة مع المسلمين لا الإسلام، وخلاصة ما أطالب به أن تتحقق مبادىء الإسلام فى الحرية والعدالة والتسامح وغيرها لتخلق مجتمعاً جديداً لا استبداد فيه ولا فقر ولا تعصب، وأن ينعم بذلك فعلاً لا قولاً المواطنون والجماهير والمخالفون لنا فى الرأى أو العقيدة. ولقد تحقق ذلك فى عصر ذهبى، أعلن فيه مسلم ضعيف عصيانه للخليفة لأنه رآه يرفل فى جلباب جديد وأراد أن يعرف من أين له ذلك، فى عصر شمل فيه الضمان الاجتماعى المستحقين من اليهود والنصارى أسوة بالمسلمين، فى عصر كان يتجرأ

يهود على مهاجمة القرآن، فيكتفى بمناقشتهم والرد عليهم بالكلمة المكتوبة. ما أريده يا سيدى هو العمل والمعاملة لا الاستشهاد بآيات شريفة لا نعمل بها.

• حول... الشيوعية الجديـدة:

عن كلمتى عن الشيوعية الجديدة فى أوروبا جاءتنى رسالتان:

الأولى: بتوقيع «قارىء» يرى فى الاتجاه الجديد للأحزاب الشيوعية الأوروبية انحرافاً عن الخط الثورى، ويعجب من تعجبى للربط المحكم بين العدالة فى النظرية الشيوعية من ناحية وبين الفلسفة المادية وديكتاتورية الطبقة العاملة من ناحية أخرى. ويتفضل بشرح النظرية كفلسفة متكاملة وهو ما أعتقد أنى أجهله، ولذلك فهو يستحق الشكر على أى حال، ولكنى أقول لسيادته بأننى لم أقتنع قط بالفلسفة المادية ولا بالديكتاتورية كأسلوب فى الحكم، واقتنعت برغم ذلك بالعدالة. وطالما رأيت أن العدالة بدهية لا تحتاج إلى نظرية تدعمها، على حين أن أزلية المادة وتخلق الوعى فى طور من أطوارها من الأمور التى تحتاج إلى تفسير وأدلة لا توفرها النظرية المادية. وعلى أى حال فأمامنا تجارب تجرى فى إنجلترا والقارة الأوروبية، على أى ماركسى متفتح الذهن أن يتابعها بنزاهة، وبروح علمية خالصة، حتى يلمس نتائجها ويعدل موقفه إذا اقتضى الأمر ذلك بالمرونة التى يتصف بها التفكير العلمى الحقيقى. وبعد فإنى آسف للظروف التى اضطرت صاحب الرسالة إلى إخفاء اسمه، وأرجو أن يمتد به العمر إلى المستقبل الذى يبيح له التعبير عن رأيه بحرية كاملة وبلا حرج.

الثانية: بتوقيع الأستاذ حامد يس. «جامعى».. يقول إن قرارات الأحزاب الشيوعية فى أوروبا ما هى إلا نوع من المناورة، بل المؤامرة، لتمهد لنفسها الطريق إلى الحكم، وإنها مازالت تضمر الإلحاد والديكتاتورية، وإنه يخشى أن يعتبر دفاعى عنها دفاعاً عن الماركسيين المصريين الذى يدعون الإيمان بلا صدق أو إخلاص.

والحق أنى لا أملك أن أكذب إنساناً فى قول يعلنه بلا دليل، كما أننى لا أدعى الاطلاع على الأفئدة أو الغيب، وخير من ذلك أن أفترض الصدق فيمن يجهر به، ثم أراقب عمله باليقظة الواجبة، وتصديق الكاذب فى هذه الحال خطأ يمكن استدراك عواقبه، أما تكذيب الصادق فجريمة لا تغتفر.

● التقشف والنظافة:

عندما نفكر فى التقشف الذى التزمت به الدولة يتجه الذهن إلى استحضار أبواب من الإسراف مثل دعم سلع غير جماهيرية، أو الحفلات والبدلات وغيرها، ولكنه لا يستحضر النظافة كباب من هذه الأبواب، فليست النظافة ترفاً، ولكنها كما يقال من صميم الإيمان، وأساس جوهرى للصحة والجمال والحضارة، لذلك أدهشنى أن يقول الأستاذ مصطفى غزلان [رمل الإسكندرية] فى رسالته «كانت الإسكندرية أنظف مما صارت إليه عقب فرض ضريبة النظافة.. بعض عمال النظافة لا يتقاضون الحد الأدنى المقرر لأجور جميع العمال. فى جلسة أخيرة للمجلس المحلى لمحافظة الإسكندرية أثير

موضوع الاعتمادات اللازمة للحد الأدنى للأجور، خاصة وأنها سبق أن أدرجت فى مشروع الموازنة التقديرية لمحافظة الإسكندرية عن عام ١٩٧٦ إلا أن وزارة المالية لم تعتمد المبالغ المقررة للمحافظة، مما أدى إلى عجز صندوق النظافة بالإسكندرية.. يجب ألا تمس أعمال النظافة حتى لا ينعكس ذلك على الصحة العامة فنضطر إلى الإنفاق على مكافحة الأوبئة والأمراض أضعاف ما اقتصدناه من ميزانية النظافة».

ولو صح ما جاء فى الرسالة فهى شكوى عادلة ونقد صادق وتحذير أمين، والنظافة واجبة فى كل مدينة وكل قرية فما بالك فى الإسكندرية ثغر الاستقبال ومصيف الملايين؟!

١٩٧٦/٨/١٦.

القوى الضائعة

يخيل إليّ أنه لو أننا أحصينا الأفراد المنتجين بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة لتبين لنا أن الملايين من شعبنا تعيش عالة على أقلية منه، فى أى مكان تصادفك قوى ضائعة لا أثر حقيقى لها فى الحياة، على حين أننا بلد نام يحتاج كل شبر منه إلى يد عاملة أو فكر مبتكر ليتغير وجهه وتدب فيه الحياة ويجود بالثمار والجمال. أقول: إنه فى أى مكان تصادفك قوى ضائعة، تجدها كثيراً بلا عمل على الإطلاق، تتسول أو تتصيد رزقها بالفهلوة والشطارة، أو تؤدى خدمات تافهة كتنظيف زجاج السيارات وبيع اللب والسودانى وأوراق اليانصيب، أو تجدها بكثرة متزايدة فى المصالح والمؤسسات ببطالتها المقنعة لا تقدم إنتاجاً ولا خدمة. ولو جاء ذلك نتيجة لاستيفاء احتياجاتنا من أوجه النشاط والعمل لهان الأمر، واعتبر ضرورة لا مفر منها، ولكنه يجىء ونحن نشكو نقصاً حاداً فى شتى الحرف والصنائع، كالتجارة،

والسباكة ، والبناء ، والأعمال الكهربائية والصحية ، ونشكو نقصاً أجل فى عدد المعلمين الفنيين والعمال المهرة ومن يستعان بهم على محو الأمية بصورة مخططة ومنتظمة ، تلك معلومات لا يجهلها أحد ولا أظنها تغيب عن بال مسئول ، وبرغم ذلك فمازلنا مقصرين فى معالجتها وإيجاد الحل المناسب لها ، بل إننا نعمل على استفحالها ، بإضافات جديدة من سوء التصرف . فمثلاً كان يجب أن تستوعب المعاهد الفنية ومراكز التدريب ٧٥ ٪ من الشباب المتعلم ، ولا يوجه إلى الجامعة إلا ذوو الاستعدادات العالية للتخصصات العلمية . كما كان يجب ألا يسمح بالتسول أو الأعمال التافهة إلا لكبار السن أو ذوى العاهات وأن يجند الآخرون فى مراكز للتدريب تؤهلهم للعمل المفيد فى الداخل أو الخارج . كان يجب أن نحصل على كفايتنا من المعلمين « للمدارس ومحو الأمية » من الموظفين المؤهلين الزائدين عن الحاجة . كان وكان وكان ، ولكننا لم نفعل شيئاً حتى بدأ الريف يشكو قلة اليد العاملة ! . أجل تشتد الحاجة أحياناً إلى اليد الزراعية العاملة فلا تجدها ، ليس بسبب الهجرة ، ولكن لأن أبناء القرية يحتقرون العمل الزراعى حال التحاقهم بالمدارس ، وكان يجب أن يدرسوا شتاء وأن يعملوا صيفاً وألا يجدوا فى ذلك ما يشين ، بل فيه ما يعز ويشرف ، وفى الوقت نفسه تجد العشرات من أبناء القرية يعملون فراشين وسعاة وممرضين فى المصالح الحكومية القروية مفضلين البطالة المأجورة على العمل الزراعى المنتج ، ويستعينون فى ذلك بأصحاب النفوذ ، بل إن الدولة قدمت لهم ذلك أحيانا حينما قررت أن تنفذ رغبات بعض

المسرحين من الجيش، فاختار هؤلاء الوظائف الميرى التافهة معرضين عن عملهم الأصلى — وهو زراعة الأرض — ومع ما يقال عن مواردنا من أرض زراعية ومعادن ومصادر للطاقة والسياحة وقناة السويس فستظل قوتنا البشرية فى مقدمة تلك الموارد. ولا اعتراض على تصدير الزائد من هذه القوة تحت شرط أن ينتفع الوطن بتصديرها على وجه ما، وعلى أن يحل محلها آخرون ضمن خطة شاملة للتدريب والتأهيل.

أما أن تجرى الأمور بلا تنظيم ولا تنسيق حتى يتمخض الحال عن هجرة الألوف المؤلفة من العمال والمهنيين والفنيين إلى الخارج، وعن تفشى النقص، فى الحرف والصنائع، وتبديد أعداد هائلة بين البطالة المقنعة والصعلكة فى الداخل فهو مالا يتصوره عقل، وبخاصة فى زمن التخطيط والأزمات. وأخيراً بدأنا نقرأ فى الصحف عن نشاط وزارة القوى العاملة، فى إنشاء مراكز التدريب المهنى، وعما ينقص هذه المراكز من أجهزة، كما قرأنا عن تجديد نظام التعليم والتربية، وهى أخبار تدعو للأمل وإن جاءت متأخرة، وما نرجوه حقًّا أن يعمل المسئولون فى هذه الميادين عن اقتناع كامل بأنهم يستثمرون أهم مواردنا على الإطلاق وأنهم يقدمون لأزمتنا الاقتصادية حلا يفوق فى فعاليته صناديق الدعم جميعاً.

• الانحراف الدينـــى

منذ قريب اكتشفت قوى الأمن جماعة دينية منحرفة يقوم بتضليلها أفراد ذوو دهاء وأغراض، وأظننا لم ننس بعد قضية الثانوية العسكرية

ومنحرفيها وضحاياها، إذن فالانحراف فى المجال الدينى يوشك أن يشكل ظاهرة اجتماعية. والانحراف الدينى ينشأ أساساً من استغلال فئة من المغرضين للروح الدينية عند الشباب أو عند جمهرة منهم، فيحولونهم من مريدين للخير والتقوى والحب إلى متهوسين سفاكين للدماء. أما عن تقوية الاتجاه الدينى عند الشباب، فهو اتجاه نحو التحرر والقيم فى عالم يسوده الفساد والانتهازية، ولكن لمّ لا يجد الشباب ما يشبع رغائبه الشريفة فى التربية الدينية التى يتلقاها فى مراحل التعليم المختلفة، لمّ لا يجدها فى الإذاعة والتليفزيون والصحف وهى لا تخلو من البرامج الدينية؟.. لمّ لا يزوده بها الأزهر عن طريق أئمته المنتشرين فى المساجد وبشتى وسائله الأخرى؟.

واضح أن المنحرفين لم يجدوا عند تلك الجهات ما يشبعهم ويهديهم، فسهل على المغرضين أن يحتووهم ويضلوهم ويبنوا فى نفوسهم روح الشر والجريمة. وثمة احتمال أيضاً أن تلك الجهات لا تؤدى رسالتها كما ينبغى لها، لعله ينقصها شىء، لعلها تعنى بأشياء وتهمل أشياء، لعلها لم تهتد بعد إلى المنهج الصحيح وإلى اللغة المناسبة لمخاطبة جميع الشبان.

ولا يجوز — فى اعتقادى — أن يكتفى بالتحقيق مع المنحرفين والمُضللين ثم تقديمهم إلى المحاكمة، بل يجب أن يجرى حوار بينهم وبين رجال من الأزهر، وآخرين من رجال التربية المسئولين عن الدروس الدينية، لا بغية هدايتهم فحسب، ولكن للإفادة من معرفة

أسباب الانحراف ، ولإعادة النظر فى أسلوب الدراسة الدينية والوعظ الدينى والبرامج الدينية . وقد يتكشف الحوار عن عوامل تخريبية أخرى خارج نطاق الدين ورجاله ، عوامل تفرخها الأزمة الاقتصادية العامة ، والانتهازية المتفشية بين الكبار، وانعدام القدوة الحسنة المناسبة للزمان والمكان ، مما تقشعر له أبدان الأبرياء من الشباب ، ويهيئهم لردود الفعل المتطرفة وتوجيهات المضللين الأذكياء . وقد يتكشف الحوار أيضاً عن تجلى هموم الشباب الخاصة كالجنس والمسكن والمستقبل والزواج والرواتب والتعليم والثقافة ، وهمومه العامة كالانحراف والنفاق والتسيب ، وكيف أنه لم يسمع للدين صوتاً سواء فى همومه الخاصة أو العامة ، وكأنما استغرقته ــ صوت الدين ــ المواعظ التقليدية والذكريات التاريخية والمعارك السياسية والنضال لتطبيق الحدود .

أعتقد أن الحوار الذى أقترحه سيحقق خيراً لاشك فيه لجميع الأطراف .

١٩٧٦/٩/٢٠ .

معركــة ورجــال

رشحت التنظيمات الثلاثة رجالها، وتقدم آخرون بصفتهم المستقلة، والمعركة تدور الآن لانتخاب المجلس الذى نرجو أن يكون دعامة الديموقراطية في مصر. ومن بادىء الأمر نحن نعلم أنها ليست بالديموقراطية المطلقة ما دامت تعمل فى إطار المبادىء الثلاثة [حتمية الحل الاشتراكى، السلام الاجتماعى، الوحدة الوطنية]، ولكنا نعلم أيضاً أن هذه المبادىء الثلاثة لا تشكل قيداً على الديموقراطية يفسد جوهرها أو يخل بوظيفتها، فالسلام الاجتماعى والوحدة الوطنية لا يحققهما نظام حكم كما يحققهما النظام الديموقراطى بحرياته الضافية، وإفساحه المجال لسماع كل صوت وصون أى حق من حقوق الأفراد والطوائف، أما حتمية الحل الاشتراكى فهى قيد فى الظاهر فقط، إذ أنها لا تقيد الشعب، وإنما تقيد من تسول له نفسه استغلاله، فالاشتراكية هنا دفاع عن الديموقراطية ضد الحرية الاقتصادية التى

حرمت الجماهير من العدالة الاجتماعية فأفرغت الحريات المتاحة لها من أي مضمون حقيقى. والملاحظ من قراءة الملصقات والمعلقات أن التركيز ما زال على الميزات الفردية للمرشح لا على المبادىء، وربما رجع ذلك إلى تداخل المبادىء وتقاربها، أو إلى أن المصلقات والمعلقات لا تتسع لشرح المبادىء والبرامج، ولعله من المفيد أن يلخص كل تنظيم خواصه الذاتية التى يتميز بها عن التنظيمين الآخرين، وأن ينشرها بصفة مستديمة أو شبه مستديمة حتى يوم الانتخاب. ولو أخذنا باقتراح الانتخاب بالقائمة مع التمثيل النسبى لأوسعنا المجال للمبادىء على حساب الأشخاص، ولهيأنا فرصة طيبة لتربية سياسية جديدة وبخاصة فى الريف.

والآن فلنلق نظرة على خريطة المعركة.. يطالعنا أول ما يطالعنا تنظيم الوسط، وتتجلى قوته فى كثافته وتنسيقه ونشاطه، أما صفته الرسمية أو شبه الرسمية فلن تؤثر فى إرادة الناخب قياساً على الشواهد التاريخية القريبة والبعيدة على السواء، ولعل سر قوته الحقيقية يمكن فى تمثيله لمبادىء ثورة يوليو [٢٣ يوليو و١٥ مايو] وفى اعتداله المتوافق مع طبيعة شعبنا بصفة عامة. ولاشك أن فوزه بالأغلبية ضمان للاستقرار والتطور نحو الأفضل.

ويجىء بعد ذلك تنظيم اليمين وهو يمثل رد الفعل نحو سلبيات الفترة الماضية، ولكنه يخلط بين سلبيات النظام والنظام نفسه، وهو إذ يدعو إلى إطلاق حرية القطاع الخاص بلا حدود إنما يدعو إلى نظام سبق

أن جرب بخيره وشره وأثبتت التجربة أن شره أكثر من خيره، ولسنا ضد القطاع الخاص تحت شرط أن يمضي في خطة التنمية بقيادة قطاع هام متجدد ومتحرر من السلبيات. وعلى أى حال نرجو أن يفوز التنظم بما يتناسب مع حجمه فى الشعب؛ليمثل معارضة قوية لا تقوم الديموقراطية إلا بها.

ثم يجىء تنظيم اليسار، والملاحظ أنه لم يرشح إلا فى عدد محدود من الدوائر لا يتناسب مع أهميته الفكرية، ولعل ذلك من أثر الحملة التى اتهمت التنظيم بالإلحاد، بالرغم من أن به نخبة ممن يمثلون التيار الدينى الإسلامى، ونحن نرجو أن يفوز التنظيم بقاعدة معارضة، ليمثل المجلس الجديد التيارات السياسية.

وأخيراً يأتى المستقلون، وطبيعى أن يعتمدوا فى تزكية أنفسهم على مميزاتهم الشخصية وتاريخهم الوطنى. وقد سبق أن أعلنت رأياً فى معنى الاستقلال، فجاءتنى رسائل من السادة محمد فهمى توفيق المحامى، والأستاذ عبدالفتاح السيد عنانى بكالوريس صحافة، والأستاذ يحيى محمد البطل صيدلى، والأستاذ كامل منصور محمد بجمرك الإسكندرية، تناقش رأيى بصراحة ووضوح. ويمكن القول بأنهم يفضلون الاستقلال لعدم ثقتهم فى تجربة المنابر المطروحة. ومن حقهم ــ ولا شك ــ أن يتخذوا الموقف الذى يناسبهم، ولكنهم لدى عرض تاريخهم الوطنى أو تقديم برامجهم سيكشفون عن هوية خاصة تنسبهم إلى الوسط أو اليمين أو اليسار، ولعل ذلك يبرر ــ فى حالة نجاحهم انضمامهم إلى تنظيم من التنظيمات الثلاثة إذا وجدوا فى

ذلك تحقيقاً للمصلحة العامة ودون عدوان على إرادة الناخبين الذين انتخبوهم بعد أن وضحت هويتهم بالرغم من استقلالهم عن التنظيمات عند الترشيح.

ومهما تكن النتيجة التى ستسفر عنها الانتخابات فسيكون لنا مجلس شعب أرجو ان نؤرخ به لحياة ديموقراطية مستقرة وناجحة.

• الواقع المـــر:

رسالة آنسة منى «الإسكندرية» تفيض بالمرارة والسخط والغضب. تكاد تشتعل بين أصابعك من شدة الانفعال واضطرام الوجدان وفظاعة الرؤية. وهى خريجة إحدى الكليات العملية، تقتسم مقعداً واحداً مع زميلة لها فى نفس المصلحة من شدة الزحام، ومع ذلك فهى تمضى نهار العمل كله بلا عمل فتتذكر بحسرة أحلام الدراسة، الآمال الذهبية لخدمة الوطن، الشعارات الجميلة التى حفظتها عن ظهر قلب، تتذكر ذلك وهى تغوص فى واقع خشن فظ لا رُواء فيه ولا جمال ولا خير الشوارع المليئة بالزبالة ومياه المجارى، ويؤرقها منظر الطوابير: طوابير المعذبين فى الأرض أمام الجمعيات وفى محطات المواصلات. وهى تلعن الكذب والنفاق والجبن وخراب الذمة ولا تدرى كيف تهرب منها، وهى تطاردها فى كل مكان. كما تطاردها أخبار السرقات والتعذيب فى الصحف، كما يطاردها السفهاء فى الشوارع، وتتساءل ماذا استفدت من حضارة سبعة آلاف سنة؟

.. وإذن فلا مفر من أن تهاجر الطيور.

هذه مقتطفات من هذه مقتطفات من كلماتها، وهى تمثل سقطة الشاب المفزعة من قمة برجه العاجى إلى قاع الواقع بأنيابه الحادة.

ولنطرح سؤالاً لابد منه : ما عسى أن يفعل شاب برىء حيال هذا الواقع ؟.

ثمة احتمالات ثلاثة للجواب المنتظر.

١ ــ أن يتكيف معه ويتجنس بجنسيته الفاضحة.

٢ ــ أن يهرب منه إلى مكان أفضل.

٣ ــ أن يحاول تغييره على قدر استطاعته مع المحافظة على مبادئه.

وبديهى أن الاحتمال الأول مرفوض.

والاحتمال الثانى لا يمكن تزكيته كقاعدة عامة، وقد يحل مشكلة فرد أو أفراد، ولكنه سيظل مؤقتاً ولن يغير من الواقع القائم، ومهما حقق من فوائد جانبية فهو خسارة وطنية فادحة، وخاصة أن الهجرة لا تتاح عادة إلا للممتازين المؤهلين للعلم أو العمل.

فلم يبق إلا الاحتمال الأخير وهو محاولة تغيير الواقع مع المحافظة على المبادىء، وهو رسالة هذا الجيل، ولعله رسالة كل جيل، وأى تفكير فى النكوص عنه هو نكوص عن الواجب، عن الالتزام، عن أن يكون للحياة معنى وقيمة وهدف. النقد وحده لا يكفى، والشكوى وحدها ضعف وعجز، لابد من عمل، وقد يكون العمل كبيراً كالالتزام بمبادىء حزب، أو صغيراً كاستدعاء الإسعاف لشخص

مغمى عليه ، ولكنه عمل على أى حال ، وسواه لا يجدى .

ويقتضينى الحق أن أوجه كلمتين لا مناص من توجيهما :

● **الأولى إلى رجال التربية والإعلام**، وهى أنه من السذاجة أن نصور الدنيا والناس للأبناء في صورة وردية مثالية مثل ماء الورد ، يجب أن يعرفوا كثيراً من الحقائق عن الطبيعة البشرية والعلاقات الاجتماعية في واقعها بلا تزييف ولا تنميق حتى لا يصدموا بالحقيقة عند أول لقاء . وأنى لأذكر فى هذا المقام ما تعرضت له في حياتى الأدبية من حملات بسبب واقعية رواياتى ، كم اتهمت بالجرأة غير المستحسنة ، وكم اتهمت بالتشاؤم ، وكم دعيت إلى تجميل الواقع ، وها هى ذى فتاة نقية ولكنه ضحية أيضاً للمغالاة والكذب .

● **الثانية إلى «منى» صاحبة الرسالة**: أرجو يا آنسة أن تنزلى عن شيء غير قليل من مثاليتك . المجتمع الذى تحتقرين مجتمع عانى كثيراً من الظلم والحرب والفقر والأزمات ، فلا تتوقعى أن تجديه صورة عذبة للنظافة والأناقة والصحة . واعلمى أن أفضل الناس مركب — إلى جانب فضله — من غرائز شرسة ، وأنه ينطوى على قدر هائل من الأنانية والغرور والطمع . وأن جانبه الشرير يزداد شرًّا بسوء الحال وتأزم الاقتصاد والنقص فى كافة الخدمات .

عليك أن تكونى معتدلة فى الحكم على الناس ، فهم يستحقون من العطف قدر ما يستحقون من النقد والحنق . ولا أقول لك ذلك لتتسامحى مع الشر أو تتحالفى معه ، كلا ، ولكن لأحرك مكامن الحب

فى قلبك الذى ملأه الغضب، وبالحب تتغير النظرة، وتعدلين ــ ربما ــ عن الهجرة وتفكرين بجدية فى عمل شىء، شىء ما، لا يهم وزنه ولا مساحته، المهم أنه جود ولو بقطرة من المساعدة فى سبيل التغيير المنشود. واعلمى بعد ذلك أن التغيير آت لا ريب فيه، وأن مجهودات غير هينة تبذل فى سبيله، ودعينى أسألك سؤالاً أخيراً: «كيف كان حال الشعب الروسى عقب الغزو الألمانى؟.. وكيف كان الحال الشعب الألمانى عقب الغزو الروسى الإنجليزى الأمريكى؟؟».. ثم كيف حال الشعبين اليوم؟.

١٨/١٠/١٩٧٦.

سفاح .. وسفاحــة

فى فترتين متقاربتين من حياتنا قبض على سفاح وسفاحة بتهمة واحدة تقريباً فى نوعها، مع اختلاف فى الأسباب والأسلوب. أما السفاح فقد تهيأت له أسباب الجريمة منذ مولده، نشأ فى أحضان الفاقة، قسا عليه أبوه ونبذه، تسلمته الإصلاحية فقضت على آدميته وكرامته، وشحنته بالمقت والغربة والرغبة فى الانتقام، تجسدت فيه عيوب شتى من عيوب الأسرة والمجتمع، خلقت منه حشرة مؤذية، فارتكب العدوان على البراءة بلا تردد، وسفك دم ضحيته ببرود شيطانى، ووفق هزيلاً مستهتراً يرمق فعلته ببلادة وجمود. واضطرب الناس للجريمة وثارت ثائرتهم، لا لوحشيتها فحسب، ولكن لأن كثيرين رأوا فيها تجسيداً لإهمالهم وسلبيتهم، وما تنضح به حياة مجتمعهم من بشاعة وتشويه، فكانت الرغبة الحادة فى القضاء على المجرم بأسرع وقت، ليختفى من حياتهم كشاهد عليهم وعلى حياتهم

المتهرئة الفاسدة. لم يفكر أحد فى محاسبة الأب، ولا فى استعجال قانون الأحوال الشخصية، ولا فى التحقيق مع رجال الإصلاحية، إذ المهم أولاً أن يختفى الشاهد، وأن يهدأ الشعور بالإثم.

أما السفاحة فكانت وراءها دوافع أخرى، دوافع ناعمة، كالطموح إلى الجاه والثراء، وخدمة أصحاب الجاه والمزاج، وهى سفاحة مجازاً، فهى لم تقتل طفلاً ولا شاباً، ولكنها قتلت قيماً وأهدرت أعراضاً، ولم ترتكب جرائمها الناعمة فى بيت قديم مهجور، ولكن فى شقق فاخرة وڤيلات أنيقة، فأثارت فعلتها الفضول والابتسام، ورأى فيها أناس صورة لطموحهم وانحرافهم وولعهم بالحياة الدنيا، بل وجدوا فيها خادماً أميناً سقط وهو يؤدى واجبه فى الترفيه عنهم.

والسفاح ثمرة مرة لمجتمع مريض يعج بالأبطال والتعساء، يواجه الحياة فى ظروف معيشية بالغة الشدة، يبذل الجهد المتواصل فى إنتاج الغذاء والكساء والحضارة، ويلقى العنت فى الحصول على الحد الأدنى من ضرورات الحياة، ويقدم للأمة خيرة أبنائها من الطلبة والجنود والعمال، وقد تواجه بعض أفراده ظروف بالغة السوء، فينحرفون ويرتكبون جرائم وحشية تشى بالمرارة والمعاناة واليأس.

والسفاحة ثمرة لمجتمع آخر، ولكنه مجتمع أغلبيته الساحقة ثمار مرة، عصابة شديدة القوة والنفوذ والسيطرة، ترتكب جرائمها فى السر والجهر، يتندر الناس بمغامراتها الفذة فى أسواق التهريب والاختلاسات والرشا، والقوادة والعهر والفساد، ويضربون الأمثال بثرواتها الخيالية،

واقتحاماتها الجريئة، وقحتها الفريدة. يربحون بلا حساب، وينفقون بلا حساب، ويهدرون القيم والقوانين بلا حساب. وإذا سقط أحدهم عن عثرة حظ أو غفوة استهتار سقط واقفاً، بل شامخاً ينبرى للدفاع عنه الجهابذة، وتكتنفه الرعاية والعناية.

فأنت ترى أننا أمتان لا أمة واحدة، أمة مترفة غارقة فى الرفاهية، وأمة نامية كادحة من العالم الثالث.

١٩٧٦/١١/١٧.

من فوق لتحت إلى من تحت لفوق

ليس من اليسير أن تمارس حياة ديموقراطية حقيقية فى أعقاب حياة دكتاتورية امتدت حوالى ربع قرن من الزمان. للحكم أسلوبه ورؤيته ومنهجه، وهى تتغلغل فى العلاقات الجماعية وفى ردود الأفعال الفردية وفى نمط الحياة جميعاً. ولا يكفى قرار أو انتخابات، ولا يكفى مجلس شعب جديد ليصفى رواسب الروح القديمة بين يوم وليلة. لذلك يلزمنا اجتهاد متواصل وإرادة صلبة وعزيمة صادقة لنحل أسلوباً جديداً من التفكير والمعاملة مكان الأسلوب القديم المراد اقتلاعه من جذوره. ويزيد من صعوبة المهمة أن النزعة الدكتاتورية تستمد أصولها من حياتنا البدائية بما تمور به من غرائز القوة والعدوان والأنانية والتسلط، على حين أن الميل للديموقراطية يستمد أصوله من العقل. ودور العقل في حياتنا لا يقاس بدور الغرائز، فالديموقراطية تربية عسيرة تتطلب جهاداً مستمراً وتضحية متواصلة وتهذيباً مطرداً، كي يحل

العقل محل الغريزة، وتسيطر المناقشة على التعصب والعنف والقوة العمياء. وقد تابعت المعارك التى نشبت فى مجلس الشعب باهتمام وارتياح وتفاؤل، إنها مظهر صحة وحيوية، وثمرة صراع لا مفر منه بين البدائية والعقلانية، وعناء صادق لتصفية أشباح قديمة. إنها حرب مقدسة يجاهد فيها الطرفان، الأغلبية والمعارضة، والنصر فيها لن يتقرر لجانب على الجانب الآخر، ولكنه سيتقرر للطرفين معاً على بدائية الروح الدكتاتورى الذى يجب أن يزول من الميدان كله بفضل حكمة ووطنية الفريقين.

وليست هذه دعوة للمصالحة والمؤانسة، ولكنها فى الواقع دعوة إلى مزيد من الصراع والخصومة على أساس من الحق والإيمان والوطنية، دعوة إلى الأغلبية لتمارس حقها المشروع فى الحكم ولو بمعارضة الحكومة حيناً، ودعوة للمعارضة لتمارس حقها المشروع فى المعارضة من خلال مبادئها وأهدافها ولو بتأييد الحكومة حيناً آخر. وما نوده للطرفين حقًّا هو أن يلتزما بالعقل والمناقشة، وأن يلتزما باحترام حقوق الأغلبية والاقلية جميعاً، وذلك هو الأسلوب الديموقراطى الحقيقى والمأمول. فالديموقراطية روح قبل أن تكون شكلاً وأسماء، ومهمة مجلس الشعب من هذه الناحية هى أن يمكن هذه الروح من السيادة الشاملة.

وفى سبيل الوصول إلى الهدف المرجو أقترح تنقية الجو من هذه الظواهر:

الأولى: هى ما يدأب البعض على تسميته بدكتاتورية الأغلبية،

والحق أن الدكتاتورية لن تكون دكتاتورية إلا إذا استبدت بالأغلبية، أما تحقيق إرادة الأغلبية فهو حقها المشروع، والديمقراطي بحكم كونها أغلبية، وهي لم تكن أغلبية إلا بإرادة الشعب. وقد تردد ذاك الوصف الغريب لمناسبة انتخاب لجان المجلس، وإصرار حزب الأغلبية على انتخاب أعضاء من حزبه. وليست هذه بدكتاتورية بحال، ولا يجوز أن توصف بهذا الوصف البغيض، ولكنها سياسة من نوع ما، قد تستحسنها أو لا تستحسنها، ولكن لا يجوز أن تشكك في مشروعيتها أو أن تصفها بغير صفتها، إذ أن ذلك يعني أن الأقلية تطالب الأغلبية بامتثال رأيها وهو مالا يتفق مع الروح الديمقراطي الحقيقي.

الثانية: هي الضيق بالمعارضة كلما ارتفع لها صوت أو احتد لها أسلوب، وهو ضيق يلاحظ في المجلس ويتردد أمرهم لمن يملك القول الفصل في الحكم عليهم بالحق والعدل.

الثالثة: تتكون من أبناء الشعب الذين استفزهم الغضب فثاروا دفاعاً عن النفس، ولكنني لا أغفر لهم الاستجابة لتحريض المتربصين وانسياقهم إلى التخريب، فاعتدوا في حومة الجنون على ممتلكاتهم الجديرة بحمايتهم ضد المعتدين والمنحرفين. لقد شوهوا حركتهم التلقائية ووصموها بالإجرام، ولسوف يثوبون إلى رشدهم فيندمون على ما فرط منهم في حق أنفسهم ووطنهم.

وعلينا أن نعيد النظر في موقفنا كله باعتبار الأحداث نتيجة حتمية لعوامل متشابكة لا للأزمة الاقتصادية وحدها. من ذلك:

١ ـ الأزمة الأخلاقية المتفشية فى شتى الأشكال من تسيب فى الإدارة إلى استهانة بالقيم والقانون.

٢ ـ أزمة الأمن العام فهى تستحق الدراسة والتحليل، وقد باتت المخلفات العلانية لا تجد ردعاً فما بالك بما يدبر فى الخفاء.

٣ ـ أزمة الحزم المفتقد فى الرقابة والمتابعة والسهر على مصالح الشعب والدولة وما يقتضيه ذلك من توجيه.

٤ ـ احترام الديموقراطية وترسيخ مبادئها وإطلاق المزيد من الحريات.

٥ ـ أخيراً وليس آخراً التصميم على حل متاعبنا الاقتصادية بطريقة شاملة ونهائية مهما كلفنا ذلك من تضحيات.

● الداء والدواء:

قيل فى تفسير مأساة لبنان كل ما يمكن أن يقال.. قيل: إنها نتيجة لمؤامرات عالمية، وقيل: إنها نتيجة لخلافات عربية، وقيل: إنها نتيجة للنظام اللبنانى نفسه القائم على الطائفية، وقيل: إنها نتيجة حتمية للوجود الفلسطينى فى لبنان، وربما كانت المأساة نتيجة لتلك العوامل مجتمعة. وهى مأساة مفزعة حقًّا، التهمت خمسين ألفاً من القتلى أو أكثر، غير مالا يحصى من الجرحى، غير الخراب الذى أهلك المؤسسات والعمائر والطرق والمدن والقرى.

ولو صح أن قوى عالمية هى المسئولة، أو هى المشاركة فى المسئولية، لحقت على القيادات المباهية بعظمة حضارتها لعنة مزرية،

تسلبها أى جدارة لريادة بشرية. ولن يعتذر عن الجريمة مايقال عادة من أن جرائم صغيرة خير من مواجهة عملاقة تطيح بالحضارة من جذورها. إنه عذر أنانى يعنى فى النهاية التضحية بالضعفاء، حماية للأقوياء، وليس به ذرة واحدة صادقة لاحترام الحياة البشرية. ولو صح أن خلافات عربية اجترحت بعد أوزار المأساة لاستحقت بدورها لعنة مزرية أشد وأفظع، ولوجب على العربَ أن يعيدوا النظر فيا هم فيه مختلفون، وأن يصفوا خلافاتهم بالتى هى أحسن، أو يسلكوا فى اصطدامهم سلوكاً منضبطاً تراعى فيه حدود الإنسانية إن دفعهم الغضب إلى تجاوز حدود الاخوة.

ولو صح أن الطائفية المكرسة فى لبنان هى المسئولة عن مأساته فأرجو أن تكون الأرواح المستشهدة قد أقنعتهم بصفة حاسمة بفساد الطائفية كأساس واهٍ لوطن من الأوطان، وأنه لا بديل للمواطنة كرابطة مقدسة لمواطنين تذوب فيها الطوائف والأديان وتتلاقى فى أخوة وسلام ومساواة.

ولو صح إن سوء توزيع الثروة هو المسئول ـ أو المشارك فى المسئولية ـ عن المأساة فالحق الذى لا مرية فيه أنه لا سلام ولا استقرار ولا تقدم ولا أمن يتوفر فى بلد يقوم نظامه على الاستغلال، وأنه لاغنى عن العدالة الاجتماعية فى هذا الزمن الذى عرف فى التاريخ بزمن الشعوب.

ولو صح أن الوجود الفلسطينى ضمن العوامل المسئولة عن المأساة

فأرجو أن يعالج بالحكمة التى تحفظ للبلد المضيف سيادته، وأن يُصان للفلسطينيين أمنهم حتى يعودوا إلى وطنهم فى أقرب فرصة إن شاء الله.

ومهما يكن من أمر فلولا أن البناء اللبنانى يقوم على أسس واهية لما تعرض بحال لكيد الكائدين أو مؤامرات المختلفين، ولذلك فلا مفر من هدم الأساس القديم وإقامة أساس جديد متين جدير بشعب حباه الله بالذكاء والنشاط والكفاءة. وإننى لأدعو كل عربى إلى متابعة ما يجرى فى لبنان إلى شهود مولد الحل السعيد المضمد لجراح الماضى ونواقصه. أدعو كل عربى لذلك، لأن لبنان ليس بالبلد الوحيد الذى عانى ما عانى من سلبياته ونواقصه. مالبنان إلا صورة برزت فى صفحتها عيوب تشارك فيها بلاد عربية أخرى بنسب متفاوتة. فالطائفية والتعصبات المذهبية والتحكم نقائص لم تكن يوماً وقفاً على لبنان وحده. وقد اندلعت المأساة فى لبنان كنذير لكل غافل أو سادر أو جاهل. ونحن نرجو أن تتمخض حكمة اللبنانيين عن حل موفق حكيم يداوون به جراحهم، ويصلح فى الوقت نفسه دواء متداولا لمن يريد أن ينتفع به من العقلاء فى وطننا العربى.

١٩٧٧/١/١٧.

كلمة حول الفتنة

أقول للجنة التقصى الخاصة بالفتنة الطائفية:

١ــ إن الفتنة ليست طائفية، ولكنها قومية وإنهم مدعوون بصفتهم مصريين للوقوف على أسبابها الطارئة وعلاجها بالروح القومية الخالدة.

٢ــ إنها وإن تكن تمس أمن الأقباط فهى تمس بشدة أقوى كرامة المسلمين وما توارثوه جيلاً بعد جيل من دين قيم وأخلاق إنسانية، فعليكم أن تدفعوا الأذى عن فريق، والإثم عن الفريق الآخر.

٣ــ واعلموا يا سادة أن الدواء الناجح لا يتيسر إلا بعد تشخيص صادق.

٤ــ واعلموا أيضاً أن الأقباط ليسوا ضحية للمسلمين، ولكن الأقباط والمسلمين ضحية لقوة ثالثة.

٥ــ أتكون القوة الثالثة هى تيار دينى منحرف؟.. وكيف

أمكن أن ينحرف فى بلد يعتبر أغنى المواطن بعلماء الدين ؟.. أم أن الاقباط والمسلمين والتيار الدينى المنحرف ضحايا لقوة رابعة أو حالة مرضية جاثمة ؟

أسال الله الكريم السداد والتوفيق لكم .

١٩٨٠/٤/٢٧.

الانحراف

أرجو أن تفرق بين التطرف والانحراف .. التطرف يمثل بلوغ الغاية القصوى فى الإيمان بأى عقيدة ، تنتمى إليه الصفوة المجاهدة ، المؤسسة على العلم والأخلاق ، والمستعدة دائماً وأبداً للبذل والتضحية بالنفس فى سبيل المثل الأعلى . أما الانحراف فهو الخروج عن الحدود بضغط من انفعال أهوج قائم على الجهل ، مسوق بالتضليل ، مندفع إلى الأذى والعدوان .

وأسأل عن المسئول عن الانحراف ، فتمضى الظنون نحو هذا أو ذاك من الناس ، ولكن الحق أننا مسئولون جميعاً عنه بقدر مسئوليتنا عن الفساد المنتشر والمناخ السقيم اللذين يشكلان جداراً من الشر يتخلق الانحراف كرد فعل له . ولذلك فالعلاج يوجد حين توجد مقاومة حقيقية وشاملة للفساد ، وحين توجد تربية دينية صادقة ، ودعاة

تمتلىء قلوبهم بحب الله والإنسان، وحين يعبق الجو بحرية تسمح للشباب بالاختيار والمناقشة وتحقيق الذات فى ضوء النهار، وحين نعطى القدوة الطيبة فى زمان عسير.

١٩٨٠/٥/٢٢.

تجارب إسلامية

الفكر الإسلامى المعاصر حافل بتيارات كثيرة تتراوح بين المحافظة الشديدة والتقدمية المقتحمة. وفى أحايين كثيرة خرج الفكر من حيز النظر إلي نطاق التطبيق والتجربة حتى تعاصرت تجارب شتى ما بين إيران وباكستان والسعودية ومصر وتركيا. منها السلفى والثورى والمعتدل والعلمانى، وكل نظام يواجه الحياة بمقوماته الفكرية واجتهاداته متصدياً لتحديات الحياة المعاصرة، عاقداً العزم على التوفيق والنجاح. وسوف يتقرر النجاح لهذا التيار أو ذاك وفقاً لما يحقق من نتائج ويحل من مشكلات، وأعتقد أن الناجح هو الذىسيسود وينتشر، ولن ينجح ويسود وينتشر إلا بشروط. منها أن يثبت أنه كفء للحياة المعاصرة وأقدر على حل مشكلاتها، ومنها أن يحقق العدالة الاجتماعية والحرية الفردية والاجتماعية معاً، ومنها أن يحترم قولاً وفعلاً حقوق الإنسان، وبذلك يحل وبصفة إنسانية ونهائية

مشكلات الأقليات الدينية والعنصرية والقومية. ويتم ذلك كله فى إطار من القيم السامية الخالدة والحياة الكريمة المتفائلة.

١٤/٨/١٩٨٠.

حتى يغيروا ما بأنفسهم

نتذكر ماضينا القريب فنحزن لفشلين كبيرين حاقا بنا، فشل الديموقراطية قبل ثورة يولية، وفشل التجربة الاشتراكية فى المرحلة الأولى من ثورة يولية.. ونلتمس للفشل أسباباً، فنبحث عنه فيما حولنا، فى الاستعمار، والملك، والأحزاب قبل الثورة، وفى الصهيونية العالمية، والدسائس الداخلية والخارجية بعد الثورة. وقد لا يخلو ذلك من حق، ولكنه ليس الحق كله، فهناك أيضاً المسئولية الأولى التى يتحملها الناس، هناك استجابات الأفراد وما تتضمنه من سلبيات فى إرادة العمل والخلق، ومدى الإخلاص للصالح العام، ولم يكن الذنب ذنب الاستعمار والملك وحدهما، ولكنه كان ذنب الرجال الذين غرر بهم الإغراء، وأعماهم حب السلطة، بل وذنب الشعب الذى لم يغضب بالقوة المطلوبة، كما كان ذنب الرجال الذين أضلهم الطمع فركبوا التجربة الاشتراكية بالسلب والنهب، وحلموا قبل الأوان

بالعظمة الإمبراطورية. حقًّا مر بنا درسانِ كبيران، يؤكدان دائماً وأبداً أن أي تجربة من تجارب النهضة ــ بصرف النظر عما يكتنفها من ظروف مواتية أو مثبطة ــ فإنما تعتمد أول ما تعتمد على الرجال، على الإخلاص والصدق، والنزاهة والإيمان، «إنّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».

١٩٨٠/٨/٢٨.

الصوت الذى يجب أن يُسمع

وفى مقابل التطرف، وردًا عليه ارتفع صوت آخر، هو صوت العقلانية والعلمانية. وهو ليس بالجديد فى حياتنا المعاصرة، ولكن ارتفاعه فى هذه الأونة صاحبته شجاعة أدبية فائقة تشهد لأصحابه بالصدق والأمانة، والشعور بالمسئولية. وهو فى أصله لا يضمر للدين أى عداء، ولكنه يبغى الفصل بينه وبين السياسة، تحريراً للإرادة فى مواجهة مشكلات العصر. ولاشك أنه حقيقة لا افتعال فيها من حيث إنه يعبر عن تيار موجود له حجمه، ولكنه كعلاج للتطرف يعتبر ــ فى رأيى ــ غير ناجح، وهيهات أن يتنزع من تيار التطرف شاباً ليضمه إليه بما هو متهم فى الجانب الآخر بالإلحاد والعداء للدين. وزاد من موقفه حرجاً من يتسللون إليه من أعداء الدين ممن تجرى أقلامهم بكلمات استفزازية خليقة بأن تضاعف حدة التطرف بدلاً من أن تهدهده. كلا، ليس هو العلاج المنشود، ولعل العلاج يوجد فى

الإسلام الحقيقى كما تدعو إليه جماعة عرفت بالإيمان والاستنارة معاً، وأخلصت للقيم الخالدة إخلاصها للعصر والتقدم، وترى فى الإسلام روحاً تصلح لكل زمان ومكان، إذا استغل وسائله القيمة من الاجتهاد والعقل واتساع الأفق، ولم أجد فى هذا الفكر ما يهدد سلامة الجماعة فى مسيرة تقدمها ونظام حكمها، واقتصادها، ووحدتها الوطنية، واحترام إنسانية المرأة فيها. إنه يعد بشق طريق مستقيمة إلى حضارة حديثة مؤيدة بقيم ربما تفتقدها الحضارة الغربية نفسها فى حاضرها، ويمكن أن يشحن الأبناء بقوة جديدة تهيىء لهم انتماء صادقاً، وتمدهم بطاقة للعمل والخلق والإبداع. هذا هو الفكر الذى يصلح أساساً للحوار والدعوة والتربية. وعلينا أن نمكن هذه الجماعة المستنيرة المؤمنة من الهيمنة على التربية الدينية فى المدارس والمساجد وأجهزة الإعلام، إنها صوت الإسلام، إسلام العقل والرحمة والعدل والحضارة.

١٩٨٠/٩/١٨.

من التجمع إلى المجتمع

ليس كل تجمع بشرى بمجتمع، فالمجتمع ظاهرة أرقى من التجمع بأجيال وأطوار، وفى رأيى أن المجتمع لا يستحق هذا الاسم إلا بشروط هامة وضرورية. من ذلك أنه لا يخلو من هدف أو بضعة أهداف تغلب على أى عصر من عصور تاريخه، وأن تنتظم الأهداف أفراده بصفة عامة وتستقطبها. ومنها أن توجد ثقة متبادلة بين الشعب من ناحية، والجهاز الحاكم من ناحية أخرى، أساسها القدوة والصدق والاحترام المتبادل، حتى وإن تحققت الآمال ببطء وعسر. ومنها أن تحترم فيه حقوق الإنسان، فلا تمس كرامة، ولا يخنق فكر، ولا يصادر ذوق، ولا يذل ضعيف، أو يطغى قوى، أو تستبد أغلبية، أو تضام أقلية، ومنها أن تمحق الامتيازات الطبقية والعائلية والبيروقراطية، وأن تتحدد المصائر فى رعاية قانون عادل وتقاليد إنسانية. ولقد تتابعت ثوراتنا مجدّة وراء هذه الغاية، أى لتخرجنا من ظلام التجمع وتدفع بنا

نحو نور المجتمع الهادف الإنسانى المعاصر، غير أنه يحسن بنا من حين لحين أن نتذكر ماضى التضحيات ونبيل الغايات.

١٩٨٠/١٠/٢٣.

المسلمون بين محمد عليه السلام وأبى لهب

تهنئة للعالم الإسلامى بالعام الهجرى الجديد، وهو جدير بالتهنئة لجلال الذكرى من ناحية ولهذه اليقظة الروحية التى تنفجر فى أنحائه المترامية مبشرة ببعث جديد من ناحية أخرى، أما فيما عدا ذلك فلعله يستحق الرثاء والعزاء لما يرتكب فوق أرضه من جرائم تتحدى مبادئه وتتخطى أخلاقياته، فقد أمر أبناءه بالأخوة والحب، وها هم يتقاتلون كأمم متعادية، ويتقاتلون فى الوطن الواحد كطوائف وقبائل.

وأمرّهم بالشورى، وها هم حكامهم يستبدون بهم استبداد الغزاة بالأسرى، وأمرهم بالتضامن والعدل، وها هم يستغل غنيهم الفقير، وتمزقهم أطماع الأقوياء وامتيازاتهم، وحثهم على العلم والنظافة، وها هو الجهل والمرض يجتاح أغلبيتهم الساحقة، وشرفهم بحقوق الإنسان، وها هم أصحاب الآراء والعقائد فيهم يُطَارَدُون مطاردة المجرمين، وأمرهم باحترام حقوق من يخالفونهم فى الدين، وها هى ذى الفتن

تعربد فى ديارهم. حقًّا إنها لصورة محزنة تدل فيا تدل عليه على أن كثرة من المسلمين يخلصون لأبى لهب أكثر من إخلاصهم لمحمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام. على أن الرسول قد علمنا فيا علمنا ألا ننهزم أمام اليأس، وأن الليل مهما يطل فله نهاية، وأن الشمس ستشرق غداً.

١٩٨٠/١١/٦.

قرار لحزب الأغلبية

نشرت بعض الصحف أن الحزب الوطنى فى بحثه لقانون المساكن الجديد لم يوافق على رفع الأجور التى يدفعها سكان الدور القديمة تجنباً لزيادة أعبائهم فى الظروف المعيشية الراهنة. ومثل هذا القرار يشهد للحزب بأنه يمثل أغلبية الشعب أكثر من أى استفتاء أو انتخاب. فقد انتخب الحزب على ضوء ما أعلن من مبادىء قبل أن يخوض عباب العمل والتجربة، أما هذا القرار وأمثاله فيدل على أنه جزء لا يتجزأ من القاعدة الشعبية، ينبض بآلامها وآمالها، ولن تجد تعريفاً أدق من ذلك لحزب الأغلبية فى أى زمان ومكان. ويدل القرار أيضاً على أنه يتوافق تماماً مع أكثر من مبدأ من المبادىء التى تنادى بها الدولة، وتشترط الالتزام بها لدى أى حزب جديد يرغب فى الخدمة العامة، مثل الاشتراكية والسلام الاجتماعى. ولعله من الضرورى جدًّا عند نظر أى مشروع قانون أو قرار أن نراجع مبادئنا المسجلة فى الدستور

حتى يتم التطابق بين القول والفعل، وبين النية والعمل، وبين ما أجرينا الاستفتاءات على أساسه، وما نطبقه على الفرد والجماعة.

١٩٨٠/١١/٢٠.

بين الرأى والعمل

بتشكيل مجلس الشورى يتوافر لنا من مؤسسات الرأى مالا يتوافر لوطن آخر. لدينا المجالس القومية المتخصصة بأعضائها، وهم صفوة أهل الخبرة فى شتى فروع النشاط البشرى، وهم يعملون على المدى البعيد والقريب معاً. وها هو مجلس الشورى بأعضائه المختارين من أهل الرأى والخبرة لتستعين الدولة بآرائهم فيا تمس الحاجة إليه من رأى سديد وخبرة واعية. وتتجمع هذه الآراء أخيراً بين يدى مجلس الشعب، وهو السلطة التشريعية الأولى، وممثل الشعب بجميع أنواعه من فلاحين وعمال وفئات ليتخذ على ضوئها قراراته النهائية. ونذكر هنا أهل الرأى والخبرة الآخرين الذين تعلو أصواتهم كل أسبوع أو شهر فى الجرائد المعارضة، وبذلك تتم الصورة الكاملة للرأى والشورى. غير أن الرأى والشورى ليسا كل شىء، بل هما لا شىء إذ لم يقرنا بالتنفيذ والعمل. ولكى تتكامل صورة العمل كما تكاملت صورة الرأى

فعلينا أن نعنى علميًّا بحساب استغلال ثروتنا البشرية، وبوضع العامل في مكانه المناسب، وبربط الأجور بالإنتاج، كما نعنى بالمراقبة والمتابعة وتشجيع المجتهد وردع المهملين. نحن في مأزق ولن نخرج منه إلا بحشد القوى وتفجير الطاقات في جو نقي صالح للبذل والعطاء.

١٩٨٠/١١/٢٧.

اللهم احفظ لنا صحافتنا

لا تذكر الحرية بمعرض حديث عن رأى أو ثقافة أو سياسة أو مؤسسة حتى تقابل بتحفز عدائى وسوء ظن راسخ، وترتفع الأصوات محتجة ومتسائلة ماذا تريد؟ ماذا تقصد؟ ماذا وراءك من نوايا خفية..؟ أتوجد حرية مطلقة؟ ثم تنهال الاقتراحات بشتى القيود والتحفظات والتفنن فى رصد المحاذير والمخاوف حتى يستوى الاختناق على عرشه وتستقر الأفئدة. إنه الخوف من الحقيقة والضيق بالرأى الآخر، والتحجر والجمود والرعب من التغيير، وفقدان الثقة بالنفس. ولنا من ماضينا البعيد والقريب دروس فى هذا الشأن لا تنسى، ولعلنا كنا نكون أفضل مما نحن عشرات المرات لو تعاملنا مع الحرية بأسلوب غير الذى تعاملنا معها به.

روادتنى هذه الخواطر وأنا أفكر فيما سيئول إليه أمر الصحافة بعد الانتهاء من تنظيمها، والصحافة هى العين التى نرى بها، والرئة التى

نتنفس منها ، والمصباح الذى يكشف عن الحقائق فى الغياهب ونحن نطمع إلى عين مبصرة ورئة سليمة ، ومصباح منير، لتكون لنا حياة رشيدة ومسيرة سديدة ، ومعاملة كريمة جديرة بالإنسان ، فاللهم احفظ لنا صحافتنا .

١٩٨١/١١/٢٢.

معنى العلم والإيمان

من بين الأخبار العادية التى تنشر فى صحفنا بصورة لا تلفت الأنظار قرأت أن العلماء المصريين توصلوا إلى تصميم جهاز جديد لإنتاج الطاقة من مخلفات القرية، بلغت تكاليفه ــ من خامات محلية ــ حوالى ٥٠٠ جنيه، وأثبتت التجارب إمكان الحصول على طاقة من الغاز الحيوى توازى ستة أضعاف الطاقة المتولدة من الوقود الصلب بالطرق التقليدية. وذكرنى الخبر وأسلوب نشره بالجو القاتم الصامت الذى يعمل فيه علماؤنا بلا جزاء مادى أو أدبى، كما ذكرنى بمشكلة هجرة العقول وتباكينا عليها بين حين وآخر، ونحن المسئولون عنها أولاً وأخيراً، كما ذكرنى بهجرة أخرى هى هجرة العلماء من ميدانهم الأصلى إلى ميدان الدين مسخرين معلوماتهم فى تفسير القرآن الكريم والتأليف فى العقيدة والشريعة، ولعلهم يظنون أنهم يجمعون بذلك بين العلم والإيمان، والحق أن كثيرين من المتدينين

يعترضون على هذا المنهج شكلاً وموضوعاً، والحق أن ليس معنى العلم والإيمان فى نظرى أن نسخر العلم فى تفسير الدين، ولكن أن نتخذ من الإيمان قوة تؤيدنا على مشقة البحث العلمى وكشف أسراره وابتكار اختراعاته خدمة للوطن والإنسانية، فالعالم المؤمن حقًّا ليس هو الذى يهجر المعمل ليفسر القرآن، ولكنه الذى يكرس حياته للعلم والبحث والإنسان.

١٩٨١/٢/٢٢.

ماذا نريد من مجلس الشورى

معروف أن أول هدف من أهداف مجلس الشورى هو المحافظة على تراث ثورتى يولية و١٥ مايو. وقد يرى البعض توسيع مجال نشاطه ، أو يأمل آخرون فى تحويله إلى مجلس شيوخ كخطوة تالية ، ولكنه فى جميع الأحوال يجب أن يظل مرتبطاً فى وجدان الشعب بذلك الهدف الثورى الذى منحه حق الوجود ، وهو المحافظة على تراث الثورة .

والحق أن أجهزة الرأى ليست بالقليلة ، فمنها ما يعمل على المدى الطويل كالمجالس القومية ، ومنها من يواجه مطالب الحياة السياسية والاجتماعية ساعة بساعة كمجلس الشعب ، ولكن الأعباء كثيرة ، والطموحات عظيمة ، والتناقضات غير نادرة ، وقد تنسى زحمة العمل قيماً لا يجوز أن تنسى ، من أجل ذلك يجب أن تتعلق آمال الشعب بمجلس الشورى باعتباره خط دفاعها الثابت عن روحها الثورية

ومكاسب نضالها العادلة وآمالها فى غد أفضل. أجل من المهم فى ذاته أن يدلى المجلس برأيه، وأن يدعم ساحة المناقشة بخبرة جديدة، ولكن ما نريده منه أهم من ذلك كله، نريد منه أن يكون الحارس الأمين على آمال شعب، أن يكون بصيرة الغد والحركة الدائمة والشباب المتجدد، أن يكون الذاكرة الخالدة لقيم الحرية والعدالة الاجتماعية، أن يكون قلب ولسان الثورة الأبدية.

١٩٨١/٣/٨.

حريـة الفكـر

الحرية أمل مرموق لا ينى الإنسان عن التطلع إليه، حتى لتبدو الحضارة أحياناً وكأنها صراع بين الضرورة ورغبة الإنسان فى الحرية بكافة مستوياتها، الفردية والاجتماعية والروحية. ومع ذلك فكل نوع من الحرية له شروطه وانضباطاته كى يطيب للإنسان ويصفو، فحرية العقيدة مشروطة بعدم الاعتداء على عقائد الآخرين، وحرية السلوك مشروطة بآداب وقيم، والحرية الاقتصادية يحدها ــ أو يجب أن يحدها ــ عدم الاستغلال، وهكذا وهكذا، عدا حرية الفكر، فإننى لم أستطع أن أقتنع بأنه يجب أن تحدها حدود، أو تقيدها شروط. ذلك أن هدفها الأول والأخير هو الحقيقة، والحقيقة لا تتجزأ، ولا يغنى بعضها عن البعض الآخر، ولا يجوز لإنسان أن يستهين بها، وهى أساس حياته وبقائه وماله.

ولا يعنى هذا بطبيعة الحال أن الفكر الحر لا يخطىء ،ولكن لا سبيل إلى تصحيح الفكر إلا بالفكر نفسه ، ولا عمل هنا لأى قوة خارجية . والتفكير مهمة شاقة وأمانة خطيرة ، يتطلب صبراً وكدحاً وعبقرية ، فكيف نثقله إلى ذلك بقيود مصطنعة ، وشروط تعسفية ؟!. ونحن ما زلنا نستورد العلم ، نظرياته وتطبيقاته ، ونلهث وراء اكتشافاته ، ولم نكد نسهم فى الفكر العالمى بشىء يذكر ، فما أجدرنا بأن نؤمن بحرية الفكر ودعمها وإطلاقها دون قيد أو شرط .

١٩٨١/٣/٢٦.

الهدف والعمل والقدوة

لكل عصر هدف عام يقتضى مثالاً من العمل والسلوك يؤدى إليه ويحققه. وهذا المثال من العمل لا يكفى أن يدعى إليه بالكلمة الطيبة والتربية الرشيدة، ولكن لابد أن يتجسد فى قدوة رائدة ويتكرر فى قيادات المجتمع، وعند ذاك، وعند ذاك فقط، يصبح للكلمة الطيبة فعلها وللتربية أثرها، ويمسى المثال تقليداً عامًّا فى الشعب، وتجنى ثمراته، طال الوقت أو قصر، وعلى سبيل المثال كان الجهاد هو الهدف فى صدر الإسلام لنشر الرسالة، فكان العمل المطلوب هو الشجاعة والفداء. وتهيأت القدوة فى الرسول وصحابته، فتهيأ النجاح فيما يشبه المعجزة. ومثال آخر نجده فى ثورة ١٩١٩ حين صممت مصر على نيل استقلالها، قام الصراع بين أمة صغيرة عزلاء وأكبر إمبراطورية عرفها التاريخ، فلم يكن اللجوء إلى القوة من جانب مصر وارداً، ولذلك كان العمل المطلوب هو التضحية وتجسد ذلك المطلب

فى زعيم الثورة الشيخ الذى قال: لتفعل بنا القوة ما تشاء فنفى، وتأثر الشعب بالقدوة فثار ثورته.

وسنلقى هذا الترابط المحكم بين الهدف والعمل والقدوة فى كل عصر بناء من عصور التاريخ، بدءًا من عصر بناء الهرم إلى عصر الحرب العظمى الثانية. ولعله من الخير أن نسأل أنفسنا عن هدف هذه الفترة من حياتنا، ولا أظن أن ثمة اختلافاً فى أنه بناء وطننا المرهق فى جميع أبعاده. ولا اختلاف أيضاً فيا يتطلبه ذلك من علم وعمل وتضامن وصدق.

لا اختلاف أيضاً فى نوعية القدوة التى يجب أن تتجسد فى القيادات فى شتى مواقعها.

بذلك يصبح للكلام الطيب معناه وأثره، ويستجيب الشعب للنداء، وتتحقق المعجزة من جديد.

٢٨/٥/١٩٨١.

نحو مجتمع حـــر

إذا أردت أن تعرف موقفك من الحرية فلا تلتمسه فى مدى حبك لها ، فإنه لا يحبها أحد مثلما يحبها المستبد الذى يتمادى فى حبه إياها لدرجة الاستئثار بها دون الآخرين ، ولكن التمسه فى تعاملك مع خصمك أو مع الآراء والعقائد المضادة ، فهل تصارعها بنزاهة وموضوعية ؟ هل تهيىء لها من أسباب الدفاع والهجوم ما تهيىء لنفسك ؟ .. هل تعتبر أن الحقيقة هى الهدف وليس النصر أو الكبرياء ؟! . وما يصدق على الفرد يصدق على المجتمع . لذلك فإن المجتمع الحر جدير بأن يعكس مجلسه النيابى واقعه بشتى تياراته كل بحسب قوته بلا زيادة ولا نقصان ، وهو الذى لا يوجد به رأى مكبوت أو مصادر ، وهو الذى تحترم قوانينه قواه الخلاقة والمبدعة ، وفى كلمة فهو مجتمع سليم الحواس والعقل والروح ، يعمل فى تضامن وتحت لواء الحرية على دعم إيجابياته وقهر سلبياته ، رانيا ببصره نحو مستقبل

لا نهاية لتطوره ونموه، متجنباً الهزات العنيفة بحكمته وحسن سلوكه وتمسكه بالقيم الخالدة. وقد حققنا في مجال الديمقراطية ــ منذ ١٥ مايو ــ إنجازات لا ينكرها أحد. ولكن يحسن بنا أن نعيد النظر في أنفسنا بين حين وآخر، نقداً للذات، وطموحاً للكمال، وتضييقاً للهوة بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون.

١١/٦/١٩٨١.

مطلوب محاكمة سريـــة

خطابي ليس موجهاً للمسلمين والأقباط، فإيمانهم بالوحدة فوق أي كلام، وسخطهم على الأحداث الطائشة واحد وغني عن أي تنويه. إنني أخاطب المنحرفين من أهل الزاوية الحمراء ممن أعماهم الغضب أو التعصب أو كلاهما معاً. إنني أدعو كل فرد منهم إلى محاكمة ذاتية سرية ساحتها نفسه، وشهودها قلبه وضميره. فليحاكم نفسه بنفسه، هل ما صدر عنه من فعل كان خير ما يمكن أن يصدر، أكان خير علاج وأنجعه، وهل جاءت نتائجه كما كان يحب ويتمنى؟. وعندما ينتهي من محاسبة نفسه اقترح عليه أن يتصور ــ مجرد تصور ــ أنه مكلف بالدفاع عن خصمه، وليشرع في ذلك بإخلاص على سبيل التجربة، فهل يجد ما يدافع به عنه، هل يمكن أن يجد في موقفه ولو بعض الحق، وأن يجد لغضبه ولو بعض العذر؟. إني أطالبكم بذلك لأني أعتقد أن التعصب حالة عقلية منحرفة لا علاقة لها بالدين، وإن

وجَدَتْ فى الدين متنفساً لها، كما تجده فى الرياضة أو السياسة وغيرهما. وهى حال مرضية، ومثل سائر الأمراض تحتاج إلى طبيب، ولكن لابد من مقاومة المريض الذاتية. فأقبلوا على هذه المحاكمة الذاتية السرية لعلكم تبلغون الندم، فإن كافة العقوبات المتوقعة لن تغنى عن الندم. الندم الوطنى المقدس الخالد.

.١٩٨١/٧/١٣

السلام بين العمل والفكـر

من المبادىء التى يقوم عليها نظامنا الاجتماعى السلام بين الطبقات، بمعنى أنه أحل التضامن بين الطبقات محل الصراع الذى تؤمن به أنظمة أخرى، والنجاح تحت ظل هذا المبدأ رهن بإخلاص كل مواطن له، والعمل على تحقيقه بالصدق والأمانة وإلا انقلب شعاراً لا معنى له، وقناعاً يخفى تحته الاستغلال والجشع والانتهازية.

وعلى أى حال يمكن أن نطمح إلى السلام الاجتماعى فى مجال العمل، أما عالم الفكر فله طبيعة خاصة لا تتفق مع السلام، بل لعل السلام فى عالم الفكر لا يعنى إلا التراخى والخمود ثم الموت. ذلك أن الفكر لا ينشط ويتوثب ويبدع إلا من خلال الصراع والخلاف والتحدى.

وإن أجَلّ آثارنا الفكرية على مدى التاريخ لم تكن إلا ثماراً لمعارك فكرية طاحنة فى الدين والفلسفة والأدب، فالحَجْر على بعض

أركان الفكر وحرمانها من التنفس والتعبير أخلّى الميدان من عناصر الإثارة والتحدى، وتَرَك أركان الفكر المباحة فى الحلبة وحدها تصول وتجول دون منازل، فبردت حميتها، وفترت عزيمتها، وخمدت روحها، ذلك أن من يحجر على جانب من الفكر فإنما يحجر على الفكر كله.

١٩٨١/٨/١٣.

الفتنة والتسيب

بشرتنا الصحف بأن السيد الرئيس سيلقى بياناً هامًّا عن الفتنة الطائفية بعد غد «السبت» وأنه يعتزم معالجتها من جذورها، كما يعتزم القضاء على التسيب وتطهير البلاد من ويلاته. ونحن ننتظر ذلك بقلوب مليئة بالأمل، وعلى يقين من أن الرئيس قد تقصى أسباب الفتنة ما ظهر منها وما بطن، وأنه سيعالج كل سبب بما يناسبه متوخياً غاية وطنية وإنسانية لا خلاف عليها، وهى أن يتمتع كل مواطن بالأمن والأمان والسلام والحب، وأن يمارس واجباته وحقوقه فى جو من المساواة المطلقة جدير بمصر ذات التاريخ المجيد والأصالة العريقة. ولعل التسيب لم يقترن بالفتنة مصادفة فهما توأمان. وما التسيب إلا التحلل من المبادىء، والهروب من أمانة الانتماء، والاستسلام للشهوة والأنانية والانتهازية، وهو بذلك يفرخ أى شر، ويبتذل أى قيمة، ويستغل أى إنسان، فلا يخلو منه أى سلوك سلبى

سواء أكان مصرع مواطن فى مستشفى، أم اعتداء على قوانين المرور، أم عدواناً على كنيسة أو جامع. الحق أننا ننتظر بقلوب مليئة بالأمل، وأننا متلهفون على ما يحقق لنا الوحدة الكاملة والجدية الحقة، بل على جميع ما يؤهلنا لمواجهة العصر بمشاكله المعقدة ومتطلباته العسيرة. فلندع للرئيس بالتوفيق، ولنستعد للاستجابة والمشاركة.

١٩٨١/٩/٣.

الوحدة بين التمهيد والبناء

لنا أن نطمئن الآن إلى أن القرارات التي صدرت بشأن الفتنة الطائفية قد تصدت بحزم صادق لأسبابها المباشرة ومضاعفاتها، كما أنها قد وفرت مناخاً صالحاً لإعادة التوازن إلى الأنفس المشحونة بالقلق وسوء الظن. غير أنها لم تقل الكلمة الأخيرة فى الموضوع، بل لعلها لا تزيد عن أن تكون التمهيد الذى يسبق البناء، أو المقدمة التى تفضى إلى الهدف. وما البناء والهدف إلا إقامة صرح مجتمع صحى، يتكون نسيجه من قيم إنسانية رفيعة، يسوده السلام والعدل، ويدعمه الإيمان بحقوق الإنسان والعلم، وتقوده فى رحلة المصير روح المواطنة والحب، وهذا يعود بنا إلى قضية إعادة النظر فى بناء الشخصية المصرية، ودور وزارة التربية والتعليم فى تهيئة التربية الدينية الصادقة، والتربية الوطنية السليمة. ودور أجهزة الإعلام من صحافة وإذاعة وتليفزيون فى ترسيخ هذه المبادىء ونشرها بشتى وسائلها الجذابة من لقاءات

وأحاديث ودراما. ودور الدولة القابضة على ميزان العدل والمساواة، والتي هي في النهاية الرأس والقدوة. وكم وددت أن يشمل حديثي قرارات التسيب ليتم حصار الداء ويسهل القضاء عليه، وإني في انتظارها بلهفة مواطن يطمح دائماً إلى غد أفضل.

١٩٨١/٩/١٠.

إلى جنة الوحدة الوطنية

علينا أن نفرق بين الطائفية والفتنة الطائفية . الفتنة ترجمة أخيرة للشعور الطائفى المنحرف ، تتجلى فى صورة محسوسة كريهة ، أما الطائفية فهى طغيان الانتماء الخاص على الانتماء الوطنى العام لأسباب شتى تجمعها صفات مشتركة ، مثل التعصب والظلم والجهل والأنانية . ولولا الطائفية ما اشتعلت فتنة ، وإن توفرت الأسباب المباشرة ، على حين أنه مع الطائفية تندلع الفتنة لأوهى الأسباب ولغير ما سبب . ونحن نأمل أن تتحرى لجنة الوحدة القومية عن الأسباب الحقيقية ، إذ أنه لا علاج ناجع بلا تشخيص صادق . وليتها تعتمد على أقرب السبل وأضمنها ، وهو الرجوع إلى الناس أنفسهم ولو باستعمال استمارات الاستخبارات الشائعة فى البحوث الميدانية ، مع الاستماع الى أهل الرأى فى الفريقين . ونحن لا نبدأ من صفر ، ولكن وراءنا تاريخاً طويلاً حافلاً بالتضامن والوحدة والوطنية ، مما ييسر الكشف عن

الأعراض الطارئة. ولن يضيع وقت وهو يبذل فى سبيل الوحدة الوطنية، ولن يعتبر الجهد المكرس له إضافيًّا بالنسبة لأعبائنا العامة، لأنه ما من فساد يصيب الوحدة إلا نتيجة لفساد تسلل من قبل إلى حياتنا السياسية أو الاجتماعية أو الأخلاقية، فلن تعدو مهمة اللجنة فى النهاية أن تكون مهمة إصلاح للمجتمع والحياة فى مصر.

١٩٨١/٩/١٧.

معنى الاستقرار

إذا اختل الأمن لسبب من الأسباب فواجب الدولة الأول والعاجل هو أن تضرب الفتن بما تملك من سلاح وتشريع ورقابة، حتى ترسى أسس الأمن والأمان. ولكن ذلك لا يعنى الاستقرار بمعناه العميق. إنه انتصار فى معركة لا كسب لحرب. وعلينا بعد ذلك أن نتقصى عن الأسباب الخفية التى تدعو للقلقلة والانحراف. وسوف نجد أن هذه الأسباب هى ما ينقص المجتمع لكى يكون مجتمعاً متحضراً جديراً بالبشر. منها ما يتعلق بالقيم والإخلاص لها قولاً وفعلاً، ومنها ما يهيىء للأبناء علماً وعملاً ومستقبلاً متفتحاً، ومنها ما يحقق العدل بين الناس على سواء وبلا تمييز، ومنها ما يوفر للإنسان حقوقه من حرية وكرامة، ومنها خلـق المناخ الصالح لتلاقى الأفكار والنقاش الموضوعى. بمعنى آخر ليس الاستقرار إلا ما ندعوه اليوم بالتنمية الرشيدة والديمقراطية والانضباط والانقضاض الحاسم على الفساد والانحلال، وعبء

الواجب يجب أن تتعاون على حمله الدولة والأحزاب وأجهزة الإعلام، وكل مواطن قادر على الفكر أو العمل. فليست هى بالمعركة، ولكنها نهضة أعاق مسيرتها جشع قوم وتسيب آخرين، فعلينا أن ندفعها بصدق وإخلاص لمواصلة سيرها وتحقيق أهدافها، وبذلك نبشر بالاستقرار الحقيقى.

٢٩/١٠/١٩٨١.

رسالة الدين والشباب

دعا الأزهر أخيراً إلى إجراء حوار مع الشباب لتعريفهم بدينهم على حقيقته. وهذا يعنى بكل بساطة ووضوح أن التربية الدينية المدرسية لم تؤد رسالتها المنشودة وأنه يجب إعادة النظر فى مقرراتها ومنهجها. أما بالنسبة إلى مهمة الأزهر فأرجو أن نذكر أن للدين وجهين: نظرى، يتضمن الأصول والقواعد والرؤية. وعملى، يتعلق بالسلوك الذى يتعين على المؤمن الالتزام به وهو يشق سبيله فى الحياة ليبلغ الكمال فى علاقته مع ذاته، وعلاقته مع مجتمعه، وهو يتعامل مع دنياه، وهو يعد نفسه لآخرته. وطبيعى أن تكون النتيجة المرتقبة المعرفة والعمل معاً، أى أن يعرف الشاب دينه وأن يمضى بصدق وإخلاص فى طريق ممارسته وتطبيقه، وأن يجد فى هذا وذاك الجواب على جميع ما يحتمل أن يثور فى نفسه من أسئلة، كما يجد الحلول لما يمكن أن يعترضه من مشكلات عسيرة أو مستعصية.

من أجل ذلك يجب أن يكون الداعية على علم بنفسية الشباب ومايكتنفه من تيارات معاصرة، ومايهدد أمنه ومستقبله من صعاب وعقبات، ومايمزقه من تناقضات اجتماعية، وهموم اقتصادية، وأزمات طبقية وجنسية. على الداعية أن يعرف هذا كله، وأن يجعل منه مدخله إلى مناجاة القلوب والعقول. ولا بأس من أن يستعين فى عمله باستمارات الاستخبارات، فيوزع منها الآلاف لترجع إليه مسجلة هموم الشباب وأفكاره الحقيقية ليعرف ـــ الداعى ـــ من أين يبدأ وعلامَ يركز، وفيمَ يسهب ويعيد. إننا نتمنى لكم ياسادة حواراً صادقاً ناجحاً يرضى الله ورسوله، بل نرجو أن توسعوا من دائرة الهداية حتى تشمل الكبار أيضاً لا الشباب وحده. وفى اعتقادى أنهم فى حاجة إلى هدايتكم أكثر من الشباب.

١٩٨١/١١/٥.

لا علاج للانحراف .. إلا بالحضارة

نحن نتصور أن نشوء الجماعات الدينية المنحرفة إنما يرجع فى أساسه إلى سوء فهم للدين، يتجلى المجتمع على ضوئه كافراً يستحق الهجرة والعقاب. من أجل ذلك قامت الدعوة إلى التربية الدينية الصحيحة كعلاج حاسم لسوء فهم الدين ونشوء جماعات دينية منحرفة. ولكن هل التربية الدينية الصحيحة تمحو التناقض بين الدين والمجتمع؟. هل الناشىء الذى تلقى تربية إسلامية صحيحة لن يجد تناقضاً بين مالقنه من تعاليم وبين ما يجرى فى أسرته وشارعه ونظامه الاقتصادى والسياسى وما يعانيه مجتمعه من شتى العلل؟! اعتقد أن هذا الناشىء سيلاحظ هذا التناقض، وستمزقه الحيرة بين ما تعلم وبين ما جرى عليه نظام الحياة من مبادىء ومعاملات وتقاليد. وستكون النتيجة المنطقية المتوقعة أنه إما أن يستهين بالدين باعتباره تعاليم جميلة ولكنها غير صالحة للتطبيق، وإما أن يتمسك بالدين ويتهم

المجتمع ، ولكنه يعتمد فى تغييره على الحكمة والموعظة الحسنة ، غير أنه لن يخلو الأمر من جماعة قد تتعرض لدعوة متطرفة أو تستجيب لانفعالات حادة فتتمادى فى موقفها حتى تكفر المجتمع من جديد وتعتنق العنف والجريمة. وإذن فما العلاج الحاسم حقًّا لأى نكسة محتملة؟.. لن يتأتى ذلك فى رأيى إلا بتطهير المجتمع وتغييره ومحو وجهه القبيح ودفعه فى طريق التقدم الاقتصادى والاجتماعى والثقافى واحترام حقوق الإنسان كالعدالة والحرية وغيرهما. وفى كلمة فلا علاج للانحراف إلا بالحضارة. وعند ذاك يختفى التناقض بين التربية الدينية الصحيحة وبين المجتمع.

١٩/١١/١٩٨١.

إعادة نظرة شاملة

ما من شك فى أن أسلوباً جديداً فى المعاملة السياسية ينتظم الآن حياتنا ، ولعله من المنطق الذى تقتضيه طبائع الأشياء أن نعيد النظر فى مقومات مجتمعنا لينسجم التقابل والجدل بين ما هو قائم من ناحية ، وبين هذا الأسلوب من ناحية أخرى . إعادة نظر بناءة ناقدة تستهدف التهذيب والتشذيب والتدعيم ، تكون بمثابة قراءة متأنية جديدة للدستور والقوانين والمؤسسات ، لينتصب البناء قوياً شامخاً على أسس من الحرية والعدالة والعقل والإيمان ، فيضمن لنا انطلاقة حضارية تتسم بالاستمرارية والقوة والنجاح . ولكن ما إن يفكر المواطن فى ذلك حتى تعترضه المشكلات الملحة ، من اقتصادية واجتماعية ، وهموم الحياة اليومية ، فيتساءل : ألا يتعرض العمل المستقطب للعقول والإرادات إلى هزة إذا شرعنا فى إعادة النظر الشامل لأمورنا ؟ من أجل ذلك فكرت فى اقتراح ما يلى :

أولاً : أن يخصص فى كل وزارة وكيل دائم لشئون الخطة يتركز عمله فى تنفيذ المشروعات ومتابعتها ويباشر سلطاته الكاملة فى حال استقالة الوزارة ، أو عند انشغال الوزير بأعمال اللجان ومجلس الوزراء والسياسة العامة ، ويكون مسئولاً عن عمله أمام مجلس الشعب ، فيعرض عليه عند نهاية الدورة ما نفذ وما لم ينفذ وأسباب ذلك .

ثانياً : أن تشكل لجنة شعبية رسمية تمثل فيها جميع الاتجاهات لإعادة النظر فى النظام العام ، بما يضمن له القوة والتقدمية والقيم الإنسانية ، لتقترح فى النهاية تصوراً شاملاً يلتزم به الجميع التزام تقديس وولاء وتنفيذ .

١٩٨١/١٢/٣١ .

المعارضة المحرمة

تستقبل المعارضة مع العهد الجديد فترة جديدة من حياتها السياسية نرجو أن تتمخض عن دعم حقيقى للديمقراطية وحقوق الإنسان، ومشاركة جادة فى البناء والتربية السياسية، كما يليق بوطن ينشد السلام والرخاء، والطهارة، والعدالة الاجتماعية، والتضامن البشرى، ويسوقنى الحديث عن المعارضة المشروعة دستورياً إلى تذكر المعارضة المحرمة دستورياً، أعنى التيارات التى لا يعترف لها بحق الوجود على الخريطة السياسية، فلا تستطيع أن تكون حزباً أو تمارس نشاطاً. ولست بصدد مناقشة قرار الحرمان، ولكنى أود أن أقول إنه لا يغير من الواقع شيئاً، فإن تجاهل الواقع لا يمحوه، وستظل هذه التيارات موجودة رضينا أو أبينا، ولكن أليس من المفيد أن نفرق فى هذه المرحلة من تجربتنا الديمقراطية بين الممارسة والفكر؟. الممارسة يمكن منعها، أما الفكر فلا يمكن منعه، بل ولا يجوز منعه، الفكر لا يصح أن يخضع

للقانون الوضعي، ولكنه يناقش ويصحح بقوانين الفكر ذاته، وإلا تسلل خفية دون مناقشة أو تصحيح. أكثر من ذلك أننا قد نرفض نظرية ككل من غير أن يحول ذلك دون الانتفاع ببعض تفاصيلها، مثال ذلك أننا قد نرفض الماركسية، ولكن لا يمنع ذلك من الاستفادة من بعض أفكارها، ونحن نعيد النظر في القطاع العام، وقد نرفض فكرة تكوين حزب ديني، ولكن هذا لا يمنع من الاستفادة من شتى الآراء الدينية في حل مشكلات التربية والاقتصاد. من أجل ذلك اقترح ضم صفوة من مفكري التيارات المحرمة دستورياً إلى المجالس القومية، باعتبار المجالس مراكز للفكر والدراسات، بعيدة بحكم أسلوبها عن الدعوة والإثارة والاتصال بالجماهير. فتتلاقى الأفكار من شتى مصادرها عاكسة كافة الزوايا ووجهات النظر، مستمدة من تناقضها قوة وحماساً، ومضفية على الموضوع المعروض للبحث كل الأضواء، وإنه لخير أن نعتاد الحوار تحت راية العقل والمنطق فنألف الأخذ والعطاء، والاتفاق والاختلاف، في جو وطني، وفي ضوء النهار.

.١٩٨٢/١/٢١

ديمقراطية العمـــل

اليوم يحظى القطاع العام بما هو أهل له من الرعاية فى إطار المسألة الاقتصادية ، ولن أخوض فيما يخوض فيه أهل الاختصاص من تشخيص للعلل ، واقتراح لأوجه العلاج في الناحية الفنية الاقتصادية ، ولكنى أود أن أتحدث عن فلسفة العمل فى القطاع ، وهو ما يصدق على كافة القطاعات السياسية والاجتماعية والثقافية التى ترسم الخطط وتستهدف النجاح . أقول إن العمل فى هذه القطاعات يجب أن يسير بروح الفريق الواحد وتضامنه . فلا يكفى أن تضع القيادة خطة ، ولكن عليها أن تجتمع بالعاملين من فنيين وإداريين وكتابيين ، بل والسعادة والفراشين ، وتعرض الخطة بما تتضمنه من سياسة وأهداف إلى المناقشة العامة ، مرحبة بأى رأى أو اعتراض ، مستعدة لأى إضافة جديدة ، بحيث يشعر الجميع فى النهاية أن الخطة خطتهم ، وأنهم المسئولون عن تنفيذها كل من موقعه مهما يكن . وعلى القطاع

أن يخصص مركزاً لتلقي الاقتراحات، وأن يدرس كل اقتراح، وأن يكافىء صاحبه إذا أدى إلى انضباط في العمل، أو انخفاض في التكاليف، أو زيادة في الإنتاج.

وعلى القطاع أيضاً أن يخصص بعض الفنيين لمتابعة نشاط القطاعات المماثلة في الخارج للاطلاع على ما يستجد من كل جديد في التكنولوجيا، أو تطوير المستعمل منها في قطاعه، ودراسة الوسائل الناجعة لامتلاك السوق الداخلية وغزو الأسواق الجديدة.

بذلك يقوم العمل على أسس متينة من الديمقراطية التعاونية، ويدعو رجاله إلى التفكير المستمر والابتكار الخلاق، مثيراً هممهم بالأخوة والاحترام والحوافز.

١٩٨٢/٢/١١.

كيف نعالج الانحراف

العالم ــ ومنذ قديم ــ يزخر بالأفكار بشتى أنواعها ، منها الرجعى الذى يتعلق بفردوس مفقود فى الماضى ، ومنها المستقبلى الذى يركز على الغد القريب والبعيد ، ومنها المعتدل الذى يأخذ من كل زمان بطرف ، ومنها الحكيم الذى يعتمد على التطور والرأى ، والمتطرف الذى يؤمن بالمدفع والديناميت ، وجميع هذه الأفكار مطروحة ومعروفة ، وحتى فى مراحل الدراسة العامة لا تتعذر معرفتها .

وقد يخيل للبعض أن الإيمان بفكرة منها إنما يجىء نتيجة للدراسة والتأمل والمقارنة العلمية ، ولا أنكر أن ذلك يحدث أحياناً ولدى بعض الدراسين ، أما القاعدة العامة ــ فى نظرى ــ فهى أننا نميل إلى هذه الفكرة أو تلك حسبما تكون عليه حالنا النفسية والوجدانية بصفة عامة . تلك الحال التى تتكون كثمرة أخيرة لتراكمات اجتماعية واقتصادية وثقافية وسياسية .

وكلما ملنا إلى التوازن والانسجام والصحة النفسية والاجتماعية مال اخيتارنا إلى الأفكار البناءة والإنسانية ، وكلما ملنا أو مال بنا الوضع إلى القلق والقهر والخنق والحقد مال اختيارنا إلى الأفكار المنحرفة والأحلام الدموية . من أجل ذلك كان كثيرون من أتباع المذاهب أبعد ما يكون عن الثقة فيها أو الصبر على مناقشتها ، ولكنهم يتمادون في اتباعها تمادى المستميتين ؟ .

فليتأمل ذلك من يتصدون لعلاج الانحراف بالحوار ، ولست أقصد التقليل من شأن الحوار والتربية ، ولكنني أقصد أن أقول إن المريض إنما يعالج بالدواء والصحة العامة ومحاربة الأوبئة لا بالتفسير العلمى للمرض .

١٩٨٢/٣/١٨ .

مهمة الوسط

سبق أن حملت الوسط مسئولية ما نعانى فى نهضتنا من عثرات وتردد، كما اعترفت له بما أحرزته البلاد من تقدم، ثم طالبته بما يقتضيه الموقف من مزيد فى اليقظة والعمل. وأعود إلى الموضوع لإلقاء بعض الضوء على المهمة المطلوبة فى خطوطها العريضة، وإنها لمهمة عسيرة بالنظر لما يتوزعنا من متناقضات فى الرؤى توشك أن تصبح من تقاليد ثقافتنا الراسخة، فلكى ينجح الوسط فى قيادته عليه أن يوفق بين هذه المتناقضات التى يدين المتطرفون أى محاولة للتوفيق بينها، ويرمونها بالتلفيقية والعقم، عليه أن يوفق بين الوطنية المصرية والقومية العربية، وعليه أن يوفق بين الحرية الفردية والحرية الاجتماعية، وأن يوفق كذلك بين الإسلام والعصر. وعليه أن يحافظ فى جميع الأحوال على وحدتنا الوطنية باعتبارها دعامة الوجود والأساس الذى يقيس به نجاحه فى التوفيق بين المتناقضات. مهمة عسيرة كما قلت ولكنها قدر

لا مفر منه . وبه وحده تستقر الأمور وتطمئن القلوب بعيداً عن العنف والتضحيات الجسيمة ، وإن وطنيتنا هى جوهر شخصيتنا على مدى التاريخ ، والعروبة تراث ونداء ومصير ، والحرية أعز ما يملك إنسان ، والعدالة الاجتماعية أساس الملك ، والإسلام دين السلم وتراث قومى ، أما العصر فهو العلم والحضارة فى انطلاقها غير المحدود ، وتحقيق هذه المهمة على صعوبتها ممكن إذا صدقت العزيمة وصح الإخلاص ، وغلب حب البقاء فينا على السلبيات ، وهو ممكن أيضاً إذا استلهمنا . الشعب كأصل وهدف ، وإذا عرفنا دورنا الحقيقى كأمة صغيرة فى عالم العمالقة الحديث .

١٩٨٢/٤/١٥ .

حول مؤتمر مصر الغـــد :

هذا مؤتمر يتكون ليعطى تصوره عن مصر الغد ، وبإلقاء نظرة على رءوس المسائل التى ستعرض عليه ــ كالمشكلة السكانية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية ــ يتبين لنا أنها مسائل الساعة أو اليوم أو الغد القريب باعتباره امتداداً لليوم ، بخلاف ما يوحى به العنوان الذى يشير إلى مصر المستقبل ، مصر كهدف بعيد لأجيال متعاقبة ، وجميع هذه المسائل وأضرابها يدور حولها بحث دائم فى أمم كثيرة فتتفق من ناحية الموضوع وتتباين الحلول تبعاً للفلسفات الأساسية التى يقوم عليها كل مجتمع ، فللديموقراطية معنى فى الغرب غيره فى الشرق ، وكذلك العدالة الاجتماعية . ومن هنا يتضح لنا أن الفلسفات تختلف عن المشكلات ، وأن الحلول تختلف باختلاف الفلسفات ، فإذا كنا نسلم بما يتضمنه الدستور من رؤية ومبادىء فالأولى أن نصحح العنوان منعاً للبس ، ولا يكون المؤتمر الجديد إلا امتداداً للمؤتمر الاقتصادى يجتمع هذه المرة لبحث بقية المشكلات الراهنة .

أما إذا كان المقصود حقًّا هو مصر الغد فيجب أن ينحصر موضوعه في المبادىء العامة التى يمكن أن تعتمد كأساس للبحث عند النظر في شتى المسائل، ولعل من أجدر ما يعرض على مؤتمر مصر الغد هو الدستور نفسه وما اشتق منه من قوانين فى الفترة الأخيرة، مثل قانون الأحزاب والصحافة وغيرهما.

وقد يرى البعض أن الوقت غير مناسب، ولكن يجب التذكير بأن مؤتمر الغد بهذا المعنى حتم مؤجل لا مفر منه لنقيم النظام على أرض ثابتة بعد ما عانت من تقلب وتقلقل.

١٩٨٢/٥/٦.

متى يبدأ التغيير؟؟

في اجتماع السيد رئيس الجمهورية برجال الحزب الوطني جرى حوار هام حول مشكلاتنا وحلولها ، ولا أقول جديداً إذا قلت إننا نسمع خلاله كلاماً جميلاً فقد اعتدنا سماع الكلام الجميل ، ولكن الجديد أن الكلام الجميل يجري هذه المرة مع رجل حذر من إطلاق الكلام بلا حساب ، أو بغير اقتران بالفعل ، مما أضفى عليه أهمية خاصة تبرز مايبعث من آمال في النفوس ، ومما ورد من حديث في اجتماع ٢٣ مارس ما قيل عن الدستور ووجوب تغييره مع تأجيل ذلك حتى نتفق على أساس للبناء الاقتصادي ، ونقف على أرجلنا ، ولا أنكر ما وراء التأجيل من حكمة إذا كان من شأنه أن يضاعف القوة المحتشدة لإقامة الأساس الاقتصادي ، ولكنني أعتقد أنه يمكن البدء في الإعداد لتصور دستوري جديد ، وإعادة النظر في القوانين التي أثارت خلافات في وجهة النظر ، دون المساس بالنشاط المبذول من أجل

الاقتصاد ، يمكن تشكيل لجنة من الخبراء للدراسة الهادئة المتأنية لتفرغ من عملها فى الوقت المناسب ولعل التغيير المستهدف لا يقل أهمية عن أى إصلاح ، فضلا عن أنه سيجىء فى جملته كاعتراف بواقع نمارسه بالأمل ، إذ أنه من الملحوظ أن حياتنا اليوم تسير على نهج يعتبر متقدماً على الروح التى أملت الدستور والقوانين المشار إليها ، وعليه فالتغيير ضرورة ليتطابق التشريع مع التطبيق ، ولتستند المعاملة الجديدة إلى أصولها فى الدستور والقوانين . ولا أشك فى أن التغيير سيدعم جوانب الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والقيم الروحية ، مما يهيىء لنا أسباباً جديدة لتشجيع قوى الخلق والإبداع والانضباط ، فيدفع بمزيد من القوة عجلة التنمية الشاملة بكافة أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

١٩٨٢/٥/١٣ .

نشاط سياسى يبشر بالخير:

جاء فى بعض الصحف أن الحزب الوطنى الديمقراطى يعد موجزاً مبسطاً لبرنامجه ليوزعه على أوسع نطاق بين المواطنين. ويحسن الحزب صنعاً أيضاً لو أعد موجزاً مبسطاً مماثلاً لمبادئه ليسهل استيعابها، بل حفظها بين الجماهير. ولعله مما يصيب هدفه ويحقق رسالته أن يطرح الموجزين للمناقشة على أوسع نطاق، خاصة فى تجمعات شبابه لتمتلىء بهما أنفسهم، وترسخ فى أجهزة وعيهم، وكتجربة حية إلى الإيجابية والمشاركة فى النشاط السياسى، وتطهير القلوب من السلبية والفراغ.، والتركيز على الشباب بصفة خاصة أمر شديد الأهمية، لأن الحزب الذى لا شباب له لا مستقبل له، ولو حظى بقاعدة شعبية مترامية. وقد كان الفراغ من أخطر الأدواء التى أصابت جمهرة لا يستهان بها من شبابنا، وكان من نتائجه وقوع فريق فى قبضة اللامبالاة، وانجذاب فريق إلى التيارات الغاضبة مع ما يترتب على ذلك من

خسائر أدبية ومادية يعانى منها المجتمع فى روحه وتماسكه وتنميته . وما من شك فى أن حزباً يتمتع بالأغلبية ويمارس من خلالها السلطة يجب أن يعتبر مسئولاً عن هذا الفراغ حيثما وكيفما وجد، فهو يشير إلى قصور فى وسائل إعلامه ومناهج تربيته لجماهيره، ونقص فى فعالية التحامه بالناس فى المدن والقرى وتحرى همومهم والتكيف مع آمالهم، وتبادل حوار مستمر معهم فيما يهمهم ويهم الوطن. إن دور حزب الأغلبية فى الحياة السياسية دور خطير، إذ المفروض أنه يمثل قاعدة شعبية أساسية، تكون مصدراً للإشعاع فى التوجيه والتوعية، ومرفقاً للتضامن الاجتماعى، فلا يجوز أن يقتصر نشاطه على المؤسسات النيابية أو المعارك الانتخابية. فلعل إعداد الموجز المبسط أن يكون خطوة جديدة فى إنطلاقة حزبية واعية ومستمرة.

١٩٨٢/٥/٢٧.

حول صحف المعارضة

هذه أيام طيبة لمن يريد أن يتابع نماذج مختلفة من الآراء التى يموج بها المجتمع، فإلى جانب الصحف اليومية وصحيفة مايو لسان الحزب الوطنى تتردد أصوات معارضة فى صحف الأحــرار والشعب والأهالى بحماس ومثابرة وموضوعية، بل إن الجرائد القومية وجريدة مايو لا تخلو من الرأى الآخر، مما يدل على رغبة عامة فى تحرى الحقائق، والتماس الطريق إلى الصواب والسداد، فلعلنا نظفر فى يوم قريب بكافة الآراء بغير استثناء لنخرج من حال الازدواج والهمس إلى مجتمع الحوار والحرية بصفة نهائية وحاسمة، وأود بهذه المناسبة أن أعلن مالاحظته من أن صحف المعارضة تقتصر على تقديم مقالات معارضة، باستثناء صفحة ثقافية بالأهالى، وأخشى ما أخشاه أن نتخم مع الأيام بمقالات تدور فى الغالب حول موضوعات ثابتة أو شبه ثابتة، من أجل ذلك خطر لى أن أقترح عليها تخصيص صفحات أسبوعية للأدب والمسرح والسينما

والإذاعة والتليفزيون والقصة، لا رغبة فى كسب مساحات فنية جديدة للثقافة فحسب، ولكن أيضاً لأن الحزب ــ أى حزب ــ ما هو إلا رؤية متكاملة متفردة تشمل السياسة والاقتصاد والدين والمرأة والأدب والفن. وعلى ذلك فلن تكون الصفحات المقترحة تكراراً لما ينشر فى الصحف الأخرى، ولكنها ستكون أصداء لرؤى متباينة، وربما متناقضة تزداد بها المعارضة غنى وتنوعاً، فتؤكد من ناحية مذاهبها فى صور مختلفة وتنفخ فى الثقافة روحاً جديدة من ناحية أخرى.

.١٩٨٢/٦/١٧

نحو خطة جديدة

ها نحن نستقبل ميزانية جديدة فى هذا الشهر، نفتتح به الفصل الأول فى خطة خمسية تتعلق بها الآمال ، ويتوقف على نجاحها المصير، ولعلها أول ميزانية تسبق بدراسات علمية موسعة تمثلت فيها كافة الآراء والمذاهب ، ويمهد لها بفلسفة جديدة لعهد جديد يقوم فى جوهره على التصحيح والنقد الذاتى وتجنب الأخطاء الماضية ، ومن خلال الميزانية تتوزع التوصيات والتوجيهات على جهات الاختصاص فتترجم إلى تشريعات وأرقام ، ثم تمضى فى طريق التنفيذ يوماً بعد يوم ، يتكفل كل يوم بإبعادنا عما نشكوه ويقربنا مما نرجوه . عند ذاك نلمس كيف تكون زيادة الإنتاج ودعم القطاع العام والخاص المنتج ، وكيف يكون ترشيد الاستهلاك ومضاعفة الاستثمار والادخار، وكيف يكون تعميق مفهوم الوطنية والانتماء للوطن وترسيخ القيم وبناء الشخصية ،

وكيف يكون تجاوب التشريع مع مصالح الجماهير، ويواكب ذلك فيما أرجو نشاط الأحزاب فى تفاعلها مع القواعد الشعبية ، وجذب الشباب إلى محاور الانتماء والالتزام ، وانطلاق أجهزة الإعلام من صحافة وإذاعة وتليفزيون فى المشاركة فى دعم القيم الروحية والوطنية والثقافية . ودعوة العقول والمواهب إلى الحوار الحر فى ظل الديمقراطية . فلنبدأ خطوة جديدة ثابتة فى طريق طويل يطالبنا بخير ما نملك ، ويعدنا بما يدخره للمجاهدين الصادقين .

١٩٨٢/٧/١ .

ثــورة يوليو

ثورة يوليو تجربة سياسية حافلة بالأعمال والعبر، قدمت من الخير مالا ينسى، ومن الشر مالا يجوز أن ينسى. فهى محققة الاستقلال، ورائدة النظام الجمهورى، ومحطمة التركيب الطبقى الظالم غير الأخلاقى، وحليفة الكادحين، ومنمية التصنيع، ومكرمة حق التعليم والعمل، وموقظة العروبة، ومناضلة الاستعمار العالمى، وغيره كثير مما لا يحيط به إلا الإحصاء، وهى أيضاً دولة الاستبداد والقهر والهزائم المرة، وتبديد الأموال بسفه، وتخريب البناء الإنسانى، والفساد والانحلال والخرائب والأطلال والديون. وعلى كل فالتاريخ لم يقل كلمته بعد، وهو لا يتكلم إلا فى حينه، أما مايهمنا نحن المعاصرين لها فهو أن نستخلص من المعايشة ما تجود به من عبر هى دروس اليوم والغد. من ذلك مثلاً أنه لا خير ولا أمان فى حكم لا يقوم الشعب فيه بالدور الأول باعتباره القاعدة والرقيب والهدف، ومنه أن بناء

الداخل خليق بأن يستوعب جل جهودنا حتى يستوى البناء فوق أسس متينة من العمران والتقدم، وأن سياستنا الخارجية يجب أن ترسم على أساس توفير الفرص لأداء العمل الداخلى ولو بقمع التطلعات إلى الامتداد والزعامة، والقناعة بالتفوق المأمول فى الحضارة والعلم، ومنها أن نؤمن بأن ما نعمل ليس من أجل النظام أو التنمية، ولكن النظام والتنمية من أجل الإنسان، ومنها أن حقوق الإنسان لا تقتصر على المأكل والملبس،المسكن، ولكن يجب أن تشتمل أيضاً على الحرية والكرامة والعدالة والمساواة وسائر الحقوق المعلنة. وأخيراً فإنه خير للشعب أن يكافح تخلفه بنفسه ولو تعثر وطال به الأمد من أن ينعزل فى ركن المفترج ولو انهال عليه الخير بلا حساب. ومهما يكن من أمر فالخطأ لا يظل خطأ إذا وعينا أسبابه وانتفعنا به. تحية لجميع أبطال الثورات، ممن رحل عن عالمنا أو من لا زال يعمل فى ميدان الكفاح.

١٩٨٢/٧/٢٢.

من نحن ؟

مَنْ نحن ؟. سؤال يجدر بنا أن نطرحه على أنفسنا كثيراً فى هذا العام الذى تجرى فى أواخره الانتخابات العامة. والإجابة عليه تكشف عما تعانيه حياتنا السياسية من غموض وتداخل وإشفاق من مواجهة الحقيقة، مما يعرضنا للكبت وعواقبه العصبية. ونظرة على الواقع تنبىء بأن قلب وطننا ينبض بالتيارات الآتية:

١ ـ تيار الديمقراطية الاشتراكية، وقد ظهرت طلائعه فى جناح من الوفد قبيل ثورة يوليو، ثم تبلور وانتشر بالثورة فى أطوارها المتعاقبة، وتجد أنصاره اليوم متفرقين ما بين الحزب الوطنى الديمقراطى وحزب العمل والناصريين والوفد.

٢ ـ تيار دينى نشأ قبيل الثلاثينيات، وينقسم اليوم إلى مذاهب متطرفة ومعتدلة ومعاصرة.

٣ـ تيار ليبرالى يؤمن بالديمقراطية التقليدية والحرية الاقتصادية .

٤ ـ تيار ماركسى ترجع جذوره إلى عهد ثورة ١٩١٩ ويمتاز بوضوح أهدافه ووسائله وقلة أنصاره .

وخريطتنا السياسية تحتاج إلى إعادة تكوين على أساس الواقع الملحوظ ومبادئه ، متجاوزة الخلافات الشخصية والملابسات التاريخية ، ليتاح لنا التنفس فى جو صحى من الناحيتين : النفسية والاجتماعية ، ولعل الوقت لم يحن بعد لإعادة النظر فى الدستور بما يكفل الاعتراف بالواقع ومواجهة تحدياته ، ولعله لا يبقى للمحرومين من الشرعية الدستورية إلا التحايل بالانضمام إلى أحزاب أخرى تحت أقنعة .

وما أريد بكلمتى هذه إلا التذكير بالواقع .. والذكرى تنفع المؤمنين .

١٩٨٢/٨/٤ .

الطريق المصرى .. وعصر الإنتاج

إذا أردنا لهذا العصر من حياتنا اسماً يناسبه فهو: عصر الإنتاج باعتباره دعامة الوجود، وأمل النجاة، وهدف الحلم والواقع معاً. وليس عجيباً أن يجعله الحزب الوطنى على رأس مايهتم به ويحشد له قواه فى هذه المرحلة الدقيقة ليحقق به أكبر خدمة يمكن أن تؤدى للوطن فى معركته السلمية. ويدعونى ذلك للتساؤل عما يدفع الإنسان للبذل والعطاء والعمل، وهو تساؤل ضرورى نتيجة لما نسمعه عما أصاب الهمم من تراخ ووهن وإهمال أساء إلى سمعتنا التقليدية فى الصبر والمثابرة والإتقان، فماذا يدفع الإنسان إلى العمل؟.

١ ــ يدفعه إليه أن يزداد أجره كلما ازداد إنتاجه، وهو ما يشار إليه عادة بالارتباط بين الأجر والإنتاج.

٢ ــ ويحثه عليه ضميره الفردى إذا أحسنت تربيته على القيام بالواجب باعتباره قيمة أخلاقية وفريضة دينية ~~كافة~~ وسائل التربية، وفى جميع مراحل العمر.

٣ــ وقد يقدس العمل بضميره الاجتماعى أو التزامه نحو الآخرين ، وهذا الضمير لا ينشأ من التربية وحدها ، ولكن من الشعور بالمسئولة نحو الغير، وهذا الشعور بدوره لا يتكون إلا بالمشاركة الإيجابية فى الحياة العامة التى لا تتأتى إلا فى ظل الديمقراطية الحقيقية .

٤ ــ ويقدس العمل أيضاً من خلال تقديسه للقيم ، وتقديس القيم يزدهر فى الجو الذى تهيمن عليه الجدية والنقاء ، وتتقدمه فى كل موقع قدوة طيبة .

١٩٨٢/٨/٢٦.

الطريق المصرى.. والتعبئة القومية

نعود إلى قضية الإنتاج باعتبارها قضية الحياة والكرامة. ولعله قد ثبت لكل مواطن ــ خاصة بعد خطاب الرئيس الأخير. أن الأمر جد لا هوادة فيه، وأنه يتطلب بذل ما نملك وفوق ما نملك من جهد وإيمان وإخلاص. من أجل ذلك وجبت الدعوة إلى تعبئة قومية شاملة يقوم كل فرد فيها بواجبه من موقعه مؤيداً كان أو معارضاً أو محايداً، ومن أجل ذلك أيضاً وجب إعادة النظر فى تنظيم الصفوف بما يطهرها من الافتعال ويوفر لها الصحة النفسية والاجتماعية، فلعلى لا أجاوز الصواب إذا أعلنت التمنيات الآتية:

أولاً: علينا أن نقضى على شبهة الفساد والمفسدين. وثمة نشاط محمود فى هذا المجال نتابع أخباره بانتباه وأمل، ونرجو أن يتضاعف حتى يصفو الجو وتزول منه الشوائب، فيسترد الناس ثقتهم بأنفسهم وبالآخرين، وبالقيم، ويرجع العمل الشريف إلى محرابه قيمة شريفة مقدسة، ووسيلة وحيدة للاحترام والترقى.

ثانياً: على الحزب الوطني الكبير أن يفتح ذراعيه ليدمج فيه أحزاب العمل والأحرار والوفديين، وأن يذلل ما يعترضه من عقبات فى سبيل ذلك باعتبار هذه الأحزاب ممثلة للخط الوسط، خط الديمقراطية الاشتراكية المستند إلى روح الدين السمحاء، والوحدة الوطنية، وأن ما يصدر منها من نقد فهو من قبيل النقد الذاتى لا التناقض الفكرى. وأن الاندماج يبشر بخلق قاعدة شعبية تكون منطلقاً للجهاد والعمل فى الداخل والخارج.

ثالثاً: علينا أن نعترف بالمعارضة الحقيقية حتى ولو كانت ممثلة فى التيار الدينى والماركسى لنستكمل صورة الواقع الحقيقية، ونتيح للتيارات الخفية فرصة مشروعة للعمل فى الضوء والمشاركة فى الحوار السياسى، والإسهام فى العمل الوطنى بالتراث والعلم والخبرة.

وما أتمناه يمكن تنفيذه حتى دون ضرورة إلى إجراء تغيير فى المؤسسات أو الأشخاص قبل الأوان، فالمهم عندى القلوب والإرادات قبل المناصب والمراكز.

١٩٨٢/٩/٢.

الديمقراطية وأخلاق القادة

من الحقائق المسلم بها أن لكل فرد من البشر نقاط ضعف لا يخلو منها تكوينه، حتى قيل بصدق «كفى المرء فخراً أن تعد معايبه». ولكن الناس يخصون العظماء والقادة بنظرة خاصة، كأنهم يطالبونهم وحدهم بالكمال، ويحاسبونهم فى ذلك محاسبة يعفون منها الرجل العادى. ذلك أنهم ـ العظماء والقادة ـ قدوة للآخرين من ناحية، وإننا من ناحية أخرى نعرفهم عادة من خلال مآثرهم الكبيرة، فلا نتصور بعد ذلك أن يصدر عنهم سلوك يتناقض مع تلك المآثر فى قوتها وجلالها، ويجيء الواقع مخيباً لذلك التصور، فيهز الصورة، ويثير ردة فعل عنيفة فى الوجدان.

وقد نتسامح مع نقطة ضعف إذا اقتصرت عواقبها على صاحبها، ولكن كيف التسامح مع ضعف قد يؤثر فى رسالة القائد نفسها وينال من جلالها، بل قد ينحرف بها عن مقاصدها؟. ولن يعزينا فى تلك

الحال مانسلم به من حقائق عن الطبيعة البشرية وضعفها طالما أن الأمر يتعلق بمصير الجموع، وربما على مدى أجيال متعاقبة، من أجل ذلك تتجلى حكمة الأسلوب الديمقراطى فى الحكم كوقاية لشرور لاحصر لها، فعلى حين أن المستبد ــ بل والمستبد العادل كما يحلم بعض النيام ــ ينفع الناس بكافة مواهبه، فيطور ويغير ويبنى، فهو فى الوقت نفسه يؤذيهم بسلبياته ونقاط ضعفه، ورب خطأ يرتكبه فى ساعة غضب أو عند تسلط شهوة ــ يهدم ما بناه فى عمر طويل ويحوله إلى كومة من القش والتراب. أما القائد الديمقراطى فإنه يضع مواهبه فى خدمة أمته، وتتكفل الحرية والمعارضة والرأى العام بإنقاذه من شر نفسه، ودفع البلاء عن أمته. وقد مرت بنا ظروف وأحوال، علمتنا دروساً وعبراً، وامتحنتنا بآلام وخسائر فادحة، فلعلها تكون قد أقنعتنا على جميع المستويات بحكمة الديمقراطية كآخر وسيلة للنجاة.

١٩٨٢/١٠/٧.

العدالة الاجتماعية

العدالة الاجتماعية هى معاملة يلتزم بها المجتمع نحو بنيه على اختلاف ألوانهم وعقائدهم ومراتبهم، وهدفها الأخير أن تهب للناس حقوقهم التى لا تتحقق إنسانيتهم إلا بها، مثل المأوى والصحة والتعليم والثقافة والعمل والأمن والأمان وحرية الرأى والعقيدة، وسائر الحقوق البشرية فى جو من المساواة وتكافؤ الفرص. وقد يعجز المجتمع فى مرحلة من مراحله عن توفير حق من هذه الحقوق، أو عن منحها بدرجة واحدة، غير أن أساس معاملته يجب أن يكون العدل المطلق فى جميع الأحوال. ولعل العدو الأكبر لهذه العدالة هو «الامتيازات» قبلية كانت أو أسرية، أو طبقية، أو مالية، أو دينية، ففى المجتمع العادل يجب أن تتكافأ الفرص، وينفسح المجال أمام المواهب والاستعدادات، ليحتل كل فرد موقعه الذى تؤهله له قدرته ومزاياه العقلية والأخلاقية دون أى تحيز أو جور. وقد يؤدى الاجتهاد الحر العادل بالبعض إلى

الثراء الحلال، فيحق له أن يستمتع بالحياة على نحو لا يتهيأ للآخرين، ولكن لا يجوز أن يتخذ من ماله سبيلاً إلى استغلال الغير، أو الإضرار بهم، أو هضم حق من حقوقهم، من أجل ذلك فالعدالة الاجتماعية لا تتحقق إلا بشروط:

الأول: الديمقراطية، باعتبارها ضمان الحقوق القانونية والسياسية والشخصية.

الثاني: تدخل الدولة لحماية من لا يملكون ممن يملكون، وضمان الخدمات الضرورية، وتهيئة الجو الصالح للخلق والإبداع.

الثالث: التخطيط للعمل والإنتاج لتتحقق الوفرة، ولتصبح المساواة مساواة فى الإشباع، لا مساواة فى الحرمان.

وإنها لشروط تمثل الحد الأدنى كى يستحق المجتمع أن يوصف بأنه مجتمع إنسانى ذو قيم إنسانية.

٢/١٢/١٩٨٢.

تذكرتك الانتخابية

في هذا الشهر من كل عام يسمح لكل مواطن بلغ الثامنة عشرة من عمره أن يسجل نفسه فى جداول الانتخاب تمهيداً لممارسة حق هام من حقوقه السياسية وهو حق الانتخاب. والانتخاب حق ولكنه فى الوقت نفسه واجب وطنى يختار المواطنون عن سبيله نوابهم وحكامهم، والتهاون فيه يعنى تهاوناً فى الالتزام الوطنى، ونقصاً فى التربية السياسية واستهتاراً بتحرى الإرادة الشعبية، وإعلان كلمتها عندما تدعو الضرورة إلى ذلك. والمأمول من الجهات الرسمية أن تيسر التسجيل للطالبين وتبسط إجراءاته، وأن تتجنب تعرضهم إلى أى تعقيد أو إرهاق. بل ليتها تبيح التسجيل طوال العام حتى تظل الفرصة متاحة لطالب التسجيل إذا فاته القيام به في الشهر المقرر لعذر من الأعذار وأطالب أجهزة الإعلام بإثارة حملة دعائية لحث المواطنين على التسجيل، على أن توضح لهم إجراءاته، وتدلهم على أماكنه،

ولا أرانى فى حاجة إلى تنبيه الأحزاب إلى واجبها فى هذا الشأن، وإلى ما ينبغى لها اتخاذه من وسائل الإقناع لحمل شبابها على تسجيل أنفسهم، وإلا فما جدوى الممارسة السياسية إذا لم تبدأ بهذه الخطوة الأولى الهامة.

وددت أن أقترح أن يكون لتذكرة الانتخاب ما للبطاقة الضريبية فى المعاملات، وأن يشترط تقديمها عند التقدم للامتحانات العمومية والتوظف وغير ذلك. وقد يكون من العدل أن يهمل المجتمع من يهمله، وأن يعرض عمن يعرض عنه.

١٩٨٢/١٢/١٦.

ثمة إيجابيات فى حياتنا أود أن أشير إلى بعضها، لا لأنها يجب أن تذكر فى غمرة نقد السلبيات فحسب، ولكن لتوضع أيضاً نصب الأعين، ويرعى حقها حين النظر فى أى مشروع مقترح أو سياسة جديدة.

١ ــ على رأس هذه الإيجابيات الاتجاه نحو العدالة الاجتماعية، وهو أجمل هدية أهدتها ثورة يوليو إلى القاعدة الجماهيرية، ومن آثاره القطاع العام، ومجانية التعليم، والتأمينات الاجتماعية، وغيرها.

٢ ــ الاتجاه نحو الديمقراطية، وقد تأجل فى بادىء الأمر، فدفعنا ثمن ذلك فادحاً، وبعث الاهتمام به فى ١٥ مايو، وتعرض لأزمة طارئة، ثم استأنف مسيرته، وأشهد أن البلاد لم تنعم باحترامه كما تنعم به فى الفترة الأخيرة. حتى ليمكن أن يقال إننا وطن الممارسة الديمقراطية فيه متقدمة بشكل ملحوظ على بعض قوانينه، وإن المطلوب إعادة النظر فى القوانين كى يرتفع التشريع إلى مستوى الواقع.

٣ـ السلام الذى انتزعناه من أعماق غشاء من التعقيدات السياسية المتجمدة، فأمكننا أن نوفر أكبر جهدنا لإصلاح حالنا ومواصلة مسيرتنا، وهو ما يجب أن نحرص عليه، وأن نجعل منه أساساً لسياستنا لا نحيد عنه إلا أن يستوى الحرص عليه والتفريط فيه، أو ترجح مضاره منافعه.

٤ـ الانفتاح الذى ولد بلا ضوابط فأوشك أن يهلكنا ثم استقام سعيه نحو الإنتاج كما ينبغى له، ولعله من المضحك المبكى فى آن واحد أن يعانى قوم ما نعانى، من اختلال فى الموازنة والخدمات، وأن ينفقوا مع ذلك مليماً واحداً فيما لا تدعو إليه ضرورة مقنعة.

٥ـ التكامل مع السودان، وهو بدء حياة جديدة واعدة بالخير والقوة والتقدم لوادى النيل، ولا يجوز أن ينقضى يوم واحد دون دعمه.

٦ـ وأخيراً وليس آخراً هذه الرغبة الملموسة فى إقامة نهضتنا على أساس أخلاقى يعتز بالقيم اعتزازه بالتكنولوجيا، من مظاهره البارزة مطاردة الفساد.

لعل هذا بعض من كل، أود أن نتذكره لنعمل به ولا نحيد عنه.

١٩٨٢/١٢/٣٠.

بشائر خير

تتجلى روح الديمقراطية فى المعاملة والسلوك والآداب العامة، مثلما تتجلى فى القوانين والمؤسسات وممارسة الحقوق السياسية بل إنها قد تعلن من خلال القوانين والمؤسسات، فتبقى فترة فوق السطح، على حين تهيمن على المعاملة والسلوك والآداب تقاليد عصر بائد هى أبعد ما يكون عن الديمقراطية الحقيقية. ولا يسع المتابع لمجرى حياتنا هذه الأيام إلا أن يلاحظ بوادر ديمقراطية حقيقية تتسم بالتلقائية والإخلاص، وتستحق أن تذكر كبشائر لمستقبل أفضل، ويجىء فى مقدمتها الإفراج عن السياسيين ومقابلتهم للرئيس، وما أسفر عنه اللقاء من خلق شعور وطنى جميل ونبيل، وتكريم لنخبة من الرجال استحقوا التكريم والتقدير على مدى تاريخنا الحديث، وشاركوا فى صنع أجمل ما فيه بالجهاد والتضحية والعمل، ويواكب ذلك ما جاء فى حديث للسيد الرئيس عن إعادة الصحفيين المبعدين إلى صحفهم، الأمر الذى

يتجاوز مجرد الإنصاف إلى إعلان نظرة جديدة إلى الفكر وما يقتضيه دوره الخطير فى حياة الأمة من احترام وتقديس مهما تشبعت به السبل واختلفت التيارات، ولعلنا نسمع مثل ذلك عن أساتذة الجامعة المبعدين ليطمئن أهل الرأى والعلم، وليكون ذلك مدخلاً إلى حياة ثقافية جديدة، ونهضة فكرية أصيلة، ويلحق بذلك ويكرر مثاله الطيب ما قرره محافظ الجيزة من تخصيصه يوماً من أيام الأسبوع للاجتماع بأفراد الشعب فى محافظته ليستمع إلى شكاواهم بنفسه، ويحلها بما تمليه العدالة، ضارباً بذلك مثلاً طيباً للإخلاص والانضباط والديمقراطية. هذه بوادر حياة جديدة نرجو أن تكثر وترسخ لتفتح الآفاق نحو مستقبل أفضل.

١٩٨٣/١/٦.

الأغلبية النسبية.. لا المطلقة

قدم المهندس إبراهيم شكرى إلى مجلس الشعب اقتراحاً بمشروع قانون بشأن إجراء الانتخابات فى مجلس الشورى على أساس قائمة الأغلبية النسبية وليست الأغلبية المطلقة. وأرجو أن يدرس المجلس الاقتراح باعتباره مطلباً قومياً يطالب به كل مواطن مؤمن بالديمقراطية، وحق الشعب فى انتخاب نوابه وحكامه، وأن يكون مصدر السلطات بالحق والفعل، ولا مجال لنا لسوء الظن الحزبى الذى قد يحدو بالبعض إلى معارضة الاقتراح بوصفه اقتراحاً من المعارضة، وقد فرضت ظروف حياتنا اتفاق الرأى بين الحكومة والمعارضة فى أمور غير قليلة مثل محاربة الفساد، والتركيز على الإنتاج، وجانب لا يستهان به من السياسة الخارجية. وهذا الاقتراح الأخير من المطالب التى نرجو ألا يختلف فيها الرأى فهو يقوم على المنطق والعدل، ويحفظ لكل صوت يبديه مواطن حقه من الاحترام والفاعلية. ويضمن للتمثيل النيابى

عدالة لا تتحقق فى ظل أى أسلوب آخر من أساليب الانتخاب، فضلاً على أنه يصون للأقليات وزنها مهما يكن حجمها، وبخاصة أن الأقلية الوطنية المصرية ذائبة فى الشعب بحكم التجانس فى الأصل، والتوحد فى الثقافة، والمشاركة الأبدية فى الخير والشر ــ أرجو صادقاً أن يتوج الاقتراح بإقرار المجلس، وأن يكون خطوة أولى تتلوها خطوات لكسر القيود وإلغاء القوانين الاستثنائية ورفع العزل عن القادة، واستقبال عهد جديد للحرية الكاملة.

١٩٨٣/٢/٢٤.

حول التغيير

حول التغيير تدور مناقشات شبه متصلة، ومما يقوله أنصار التغيير إنه من غير المعقول أن ننتظر إصلاحاً حقيقيًّا من مسئولين عاصروا الفساد، وبالتالى تحملوا معه تبعته، والحق أقول إننى من أوائل من نادوا بالتغيير، ولكننى قصدت به تغيير القوانين والسلوك والمعاملة، وإعادة النظر فى الدستور نفسه، ومازلت أرى أن الروح السائدة فى المعاملة السياسية قد جاوزت الدستور والقوانين وسبقتها إلى درجة أعلى من الديمقراطية، بحيث إن التغيير الذى أنشده من شأنه أن يدفع بالتشريع للحاق بالمعاملة السائدة فى الواقع. أما عن الرجال فيكفى أنه لا يبقى منهم أحد تمسته شبهة أو ريبة، وأما مسئولية معاصرة الفساد فلا يبرأ منها إنسان، حتى المواطن العادى، إلا من جهر بمعارضته، وهم قلة، فضلاً عن ذلك فإن تغيير الرجال مما يهز عادة الاستقرار المطلوب لاستمرارية العمل وجذب رءوس الأموال فى

الداخل والخارج. ولعل الأفضل من ناحية التربية الديمقراطية أن يؤجل التغيير حتى يقول فيه الشعب كلمته الفاصلة فى الانتخابات العامة القادمة، فيبقى من يبقى ويذهب من يذهب بإرادة الشعب وحدها، وفى ذلك ما فيه من احترام لهذه الارادة، باعتبار الشعب مصدر السلطات، ولكى يقر فى ضمائر المسئولين أنهم مسئولون أولاً أمامه، وأنهم يحاسبون فى النهاية فى ساحته، وأنه يجزى كل فريق بعمله ــ ولعل الأفضل أيضاً أن نطالب أحزاب المعارضة ــ بالإضافة إلى جهدها المشكور فى المعارضة العامة ــ بالتركيز على الخطة، وهى هدفنا الأعلى فى هذه الفترة، وذلك بمتابعتها ونقدها، وإجراء البحوث الميدانية حولها، واقتراح ما تراه لتقويمها، فالخطة بهذا الاعتبار يجب أن تكون المحور الجوهرى لنشاط المعارضة باعتبارها الجناح الآخر للمسئولية العاملة فى الدولة.

.١٩٨٢/٥/٥

حول المعارضة

أود أن أتحدث عن المعارضة استجابة لنداء السيد الرئيس لما لمسته في بيانه الأخير من غيرة صادقة على الديمقراطية وعناية بالغة بمسيرتها ــ ولعلي لا أجاوز الحق عند عرض الملاحظات الآتية :

١ ــ أن لكل شعب مزاجه ، فهذا شعب يتسم بالبرود والتفكير، وذاك يغلب عليه الانفعال والخيال ، وتبعاً لذلك تختلف ردود الفعل بين هذا وذاك في درجتي الحرارة والقوة في كافة شئون الحياة ، ومنها المعارضة السياسية بطبيعة الحال ، فأقصى درجات الغضب في البرلمان الإنجليزي أن يصيح المعارض «ياللعار» على حين كان النواب في البرلمان التركي والإيطالي يتبادلون الضرب بالكراسي والرصاص .

٢ ــ أن المعارضة في بلادنا تمارس واجبها بعد حرمان طويل ، وتجارب مريرة ، ومعاناة أليمة ، بل بعد أحداث فظيعة هزت كيان الوطن في كرامته وأمنه واقتصاده وأخلاقه ، فلا يخلو غضبها من عذر.

٣ـــ أن المعارضة فى أسوأ أحوالها خير من الاستبداد فى أحسن أحواله، وهى إذا جاوزت الحد فهناك القضاء العادل يرد المجاوز إلى حده، أما أخطاء الاستبداد، كالهزائم والديون والفساد والإرهاب فلا أمل فى إصلاحها إلا مع الزمن الطويل والعناء المرير، وتضحيات الناس جيلاً بعد جيل.

٤ـــ لا أعنى بما قلت دفاعاً عن المعارضة غير مشروط، ولا تحبيذاً لأسلوب الإثارة والانفعال، ولا استهانة بموضوعية المنهج وأدب الخطاب والنقد البناء، والمشاركة فى المسئولية بتقديم النافع من الرأى أو الاقتراح، بل أنى لأتمنى أن تكون المعارضة فى ذلك كله قدوة ومثالاً، وأن تنتصر على نفسها قبل أن تنتصر على خصومها، ولكنى أرجو أن يفسح المسئولون صدورهم، وأن يروضوا أنفسهم على معايشة مر النقد قبل حلوه، فهو جزء لا يتجزأ من الأمانة التى يحملونها، وضريبة لا مفر منها فى دولة العقل والحرية والقيم الإنسانية.

١٢/٥/١٩٨٣.

الوزير والمعارضة

كان الوزير فيما قبل الثورة رجل سياسة قبل كل شيء، يكاد يتفرغ للسياسة العامة، والنشاط البرلماني، والتصدى للمعارضة في البرلمان والصحافة والشارع، ويقتصر عمله في وزارته على رسم سياستها حسبما يقرها حزبه، أما العمل الفنى فى الوزارة فمن اختصاص الوكيل، فهو الدارس والمنفذ والمتابع والمراقب، وقد تغير الحال تماماً بعد الثورة، فأصبح الوزير هو العامل الفنى الأول فى وزارته، وباتت الخطة رهناً بهمته وقدراته، فاستغرقه العمل حتى قمة رأسه، ولم يعد وقته يتسع لأى نشاط جديد، وإذا اتسع فلا تحتمله أعصابه إلا بالجهد الشديد، ولعل ذلك من أسباب الضيق بالمعارضة. ومطالبتها بأن تكون مساعدة للوزير فى عمله لا معطلة له، برغم أن أهدافها قد تتجاوز ذلك فى أحيان كثيرة. وهذا الأسلوب من العمل يتوافق مع طبيعة المرحلة الأولى من ثورة يوليو، مرحلتها الشمولية، أما

وقد تغيرت الوسيلة واستقر الاتجاه نحو الديمقراطية، وتأكد ذلك وتكرس في عهد الرئيس الحالى، فمن الضرورى إعادة النظر في اختصاص الوزير بما يتمشى مع الروح الديمقراطية ويفى بمطالبها لمتجددة دون إرهاق للأعصاب أو تعطيل للعمل. ولعله من الصواب ــ وهو اقتراح أقترحه لثالث مرة ــ تخصيص وكيل وزارة فنى للخطة وشئونها يشارك الوزير في بعض عمله، ويحمل عنه أعباء التنفيذ والمتابعة، وبه نطمئن على تقدم الخطة المستمر، برغم ما تتعرض له الحياة العامة أحياناً مما يقتضى مضاعفة التركيز والصراع. بذلك نحافظ على حرية الممارسة السياسية واستمرارية الإنتاج واطّراده.

٩/٦/١٩٨٣.

قيمة الفرد فى معاملته

معاملة الفرد فى وطن ما مقياس جيد تعرف منه ديمقراطيته ، أو إن شئت إنسانيته ، أو إن شئت أخلاقه وتقواه . وقد يقصر وطن فى حق الفرد فى مرحلة من مراحل تطوره لا عن إهمال ولكن لعجز فى ميزانيته ، فلا يستطيع أن يهيىء سبل التعليم والثقافة للجميع ، أو يوفر وسائل المواصلات الكافية ، أو يعد مسكناً لكل أسرة أو ينشىء الحدائق والمتاحف اللازمة ، ولكن ما العذر عن الإهمال فى المعاملة سواء فى الطريق أو فى الوزارات . أو عدم الحرص على سلامة العابرين المشاة ، أو ترك حفر فى الطرقات تهدد سلامة السائرين ، أو ترك صناديق الكهرباء مفتوحة تصعق من يلمسها ، أو تعقيد الإجراءات المرهقة لأصحاب المصالح ، وغير ذلك كثير مما نشاهد أو نسمع عنه ، أو نكابده أحياناً بأنفسنا إذا ساقنا إليه سوء الطالع .

وطبيعى أننا لا نتصور أن أجهزة الدولة تستلذ تعذيب البشر وإهاقهم وتعريضهم للتهلكة. فلا معنى لما يحدث حولنا إلا أن قيمة الفرد كإنسان مهدرة، وأنه لا يلقى ما يستحق من احترام وتقدير ورحمة لا بما هو مواطن ولا بما هو إنسان كرمه الله، ولعله مما يدعو إلى التهاون فى هذا الأمر أن «الصفوة» تحميها امتيازاتها من التعرض للأذى إلا فيما ندر ولو تعرضوا كالآخرين له لتغيرت المعاملة بين يوم وليلة. وقد كان لنا فى ديوان الشكاوى أمل للقضاء على هذا العيب الفادح، ولكننا لا ندرى ما آل إليه أمره ولعله وجد فى فورة حماس ثم تلاشى بخمودها كالعادة، ولكننا نراه ضرورة لا غنى عنها، لا ليغرق فى أعمال الروتين من تحويل أوراق وتلقى أوراق، ولكن لينشط إلى المعاينة الفورية وإجراء التحقيق اللازم، وإنزال العقوبة بمن يستحقها. وفى هذه الحال قد يغنى الإنجاز الواحد عن مائة أو ألف، وبخاصة إذا تعهدته أجهزة الإعلام بالدعاية الواجبة، وبذلك لا نقف مكتوفى الأيدى أمام الإهمال والتسيب وسوء السلوك.

١٩٨٣/٦/٣٠.

ثورة يوليو

من الطبيعى لمعاصر لثورة كثورة يوليو أن يتكون لديه رأى عنها ، ومن الطبيعى أيضاً أن يختلف هذا الرأى قليلاً أو كثيراً عن رأى التاريخ الذى لا يفصح عن رؤيته إلا فى الوقت المناسب ، عندما تكتمل الصورة ، وتنجاب عن سطحها المؤثرات الشخصية والمعارضة . ومن موقع المعاصر قالت لى الثورة أشياء أود أن أعلنها لمناسبة ذكراها ، وإن سبق لى ترديد بعضها ، فواجب على أى حال أن نتذكرها دائماً :

١ ــ قالت لى إنه لا يكفى لقيادة نهضة فى شعب أن تحبه ، ولكن يجب أن تحترمه أيضاً ، فالحب يدفعك إلى تحقيق مصالحه ما وسعك ذلك ، أما الاحترام فيدعوك قبل كل شىء إلى تقديس حقوقه الإنسانية التى منها تحمل مسئوليته الكاملة في حكم ذاته ، والدكتاتور قد يحب أمته ، ولكنه لا يحترمها مهما ادعى خلاف ذلك ، وإلا ما فرض وصايته عليها كأنها قاصرومازالت .

٢ـ وقالت لى إن حكم الفرد ربما أنشأ مؤسسات نافعة تفوق الحصر، ولكنه يخرب أهم المؤسسات، وهى الشخصية الإنسانية، فتصبح فى ظله الثقيل نفاية من السلبية والنفاق واللامبالاة.

٣ـ وقالت لى إنه فى غيبوبة القانون وغيبة الرقابة الشعبية تتضخم مراكز القوى، ويستحفل أمرها، ويتطاول طمعها، فتتهاوى القيم، وينتشر الفساد ويتعملق الشر.

٤ـ وقالت لى إن الاستبداد مهما بَشَّرَ بفكر تقدمى فهو لا يطيق الفكر الآخر، فينقلب وصاية فكرية قهرية يختنق فى كنفها الفكر والإبداع والأصالة.

٥ـ وقالت لى أيضاً إن لكل فعل رد فعل من نوعه، فالاستبداد يلد النشاط السرى، والقهر يلد العنف.

وبعد فلنذكر بالحمد ما يجرى اليوم من تصحيح أخير للثورة، يقوم على دعم الحرية وسيادة القانون والإنتاج والنقاء.

١٩٨٣/٧/٢١.

الصراع والحضـارة

الصراع على الحكم حركة اجتماعية طبيعية، وفى موجاته المتلاطمة تجد المؤشر الذى يومىء إلى لون الحضارة التى تريد أن تسود فى عصر من العصور.

وليسَ من المتعذر معرفة اتجاه المؤشر لمن يتابع الأحداث بإدراك سليم. فإن تكن الديمقراطية راسخة الدعائم فما عليك إلا أن توازن بين الأحزاب القائمة، أو أن تلجأ إلى جس نبض الرأى العام بالوسائل الاستخبارية المعروفة، وإن تكن الديمقراطية مقيدة بحدود أو شبه ملغاة، أو ملغاة تماماً، فما عليك إلا أن تلقى نظرة شاملة على المجتمع تمسح بها مؤسساته وتجمعاته وسجونه ومعتقلاته، حتى تظفر بقرائن تلقى ضوءاً على المستقبل القريب أو البعيد.

ومن السذاجة علميًّا وتاريخيا أن نعتقد أن تجاهل الخصم كاف لمحوه من الوجود أو اقتلاعه من النفوس، بل لعله غير كاف لتأجيل

نصره طويلاً إذا كان يدعو لملء فراغ لم يملأ أو لتحقيق هدف ضرورى لا يتحقق بوسيلة أخرى.

ولعل خير الوسائل وأحكمها فى الصراع الحضارى من هذا النوع هو أن تهتدى إلى مركز قوة فعال يمكنه بقوته الذاتية أن يملأ الفراغ، ويحقق الهدف، ويستقطب القلوب فى ظل الحرية الكاملة والاحترام الواجب لحقوق الإنسان، ثم تعتمد عليه فى خوض المعركة، وأن تعتمد فى كسب المعركة لا على المناقشة والدعاية وحسن التنظيم وحدها، ولكن على القدوة الصالحة، والعمل الرشيد، والعطاء المثمر، بذلك لا تكسب المعركة وحدها، ولكن تكسب أيضاً الحضارة وشهادة التاريخ.

١٩٨٣/٨/١١.

الشرطة فى خدمة الديمقراطية

جاء فى جريدة الأحرار المعارضة أن بعض رؤساء لجان الانتخابات قد ظنوا أن التعليمات التى صدرت بالتزام الحيدة والنزاهة فى انتخابات مجلس الشورى ما هى إلا مجرد تصريحات بهدف الاستهلاك المحلى، فجروا على عادتهم فى تزوير البطاقات الانتخابية، وإذا بالشرطة تلقى القبض عليهم وتحيلهم إلى النيابة العامة.

وقفت أمام الخبر وأنا فى غاية الدهشة، لا لسوء ظن بالشرطة، ولكن لفيض غمرنى من الذكريات الأسيفة عن الماضى البعيد والقريب، حينما كان المسئولون يتخذون من الشرطة وسيلة إلى تزييف إرادة الشعب، وتخليق برلمان مزور كقناع لحكم ملكى مطلق. كنا فى تلك الأيام ننظر إلى الشرطة باعتبارها عدو الشعب وحقوق الإنسان، وسلاح الظلم والطغيان.

والحق أن الشرطة كانت الضحية الأولى للطاغية، فهو الذى أجبرها على التخلى عن واجبها نحو الوطن لتخدم أهواءه وأطماعه. اليوم تعود الشرطة إلى موقعها الطبيعى كحارس أمين للقانون والقيم وحقوق الشعب. وكساهر يقظ على الدستور والديمقراطية. وقديماً كان المستبد يعهد بوزارة الداخلية إلى رجل يتوفر فيه الدهاء والجرأة واللامبالاة بالقيم، كأنما يعهد بها إلى قاطع طريق لا وزير فى دولة متحضرة، واليوم يقوم على رأس الوزارة رجل واسع الإدراك، نبيل المقاصد، عامر القلب بحب الوطن والديمقراطية وحقوق الإنسان. وقد وعد وتعهد ثم صدق الوعد والتعهد. وأول الغيث قطر ثم ينهمر.

١٣/١٠/١٩٨٣.

حول قانون الطوارىء

أقرأ أقوال المعارضة عن قانون الطوارىء فأقتنع بها، ثم أقرأ ما يرد به وزير الداخلية فلا يغيب عنى صدقه، خاصة وأن الواقع يشهد بأن هذا القانون لا يطبق خارج المجال المقصود به، بالإضافة إلى ما توحى به شخصية الوزير من نزاهة وديمقراطية.

ولكن ثمة دلالة ــ لا يجوز أن تخفى على استمرار هذا القانون ــ وهى أن وطننا لا يخلو من نذر تضطره إلى اللجوء إلى وسائل استثنائية للدفاع الواجب عن نفسه وأمنه وقيمه وسلامته.

من أجل ذلك لا يجوز أن نقنع بالاحتماء وراء قانون الطوارىء، ولكن علينا أن نبحث عن العلة فى أصولها وعن وسائل علاجها باستئصال أسبابها قبل كل شىء، وبذلك نواجه الإرهاب مواجهة شاملة لا مجرد مواجهة دفاعية أثبت لنا التاريخ أنها لا تجدى وحدها، كما أثبت أنها قد تكون من عوامل الاستفحال والتدهور إذا وضعت فى

أيد لاحظ لها من نور البصيرة والحكمة، فالأمر يحتاج إلى الدراسة المتأنية الشاملة لحصر الأسباب فى شتى وجوهها، وإن تكن هناك أسباب واضحة لا خلاف عليها:

منها فيما نرى حث الخطى فى سبيل ترسيخ الديمقراطية، وإزالة العوائق من طريقها.

ومنها مضاعفة الجهد فى تنفيذ خطة التنمية للخروج من محنة المعاناة التى تهيىء المناخ لإفراز الأفكار والأفعال المنحرفة.

ومنها مواصلة المطاردة الجدية للانحراف والمنحرفين، وتحصيل مال الشعب من المتهربين.

ومنها بث روح الاحترام والتقديس لحقوق الإنسان، واعتبار الاعتداء عليها بالقوة جريمة نكراء تستحق أكبر العقوبات الأدبية والمادية.

وحتى يتم لنا ما نريـــد فلا بأس من سن قانون طوارىء خاص بالإرهاب وحده للحالات التى تدعو إلى ذلك. والله الموفق لما فيه الصواب.

.١٩٨٣/١١/٣

ماذا تقول التجارب ؟

مما يتردد كثيراً حتى اكتسب بقوة التكرار سمة اليقين أننا جربنا الديمقراطية فيما قبل ثورة يوليو فانتهت التجربة بالفشل والانهيار، وأننا جربنا الاشتراكية بعد ثورة يوليو فانتهت كذلك بالفشل والخراب، وعليه فإن إعادة التجربة ضرب من العبث والاستهتار.

فيما يتعلق بالتجربة الديمقراطية فالحق أننا لم نجرب الديمقراطية بمعنى أننا لم نعطها فرصة للحكم لها أو عليها، وعهد ما قبل الثورة انقضى ما بين حكم ملكى استبدادى ذى قناع برلمانى زائف، بلغ حوالى العشرين عاماً، وحكم شعبى لم يزد على تسعة أعوام متقطعة على فترات متباعدة، مزقتها الأزمات السياسية الداخلية والخارجية مع القصر أو الإنجليز أو الاثنين معاً، وبرغم ذلك فقد وهب ذلك الحكم القلق المأزوم وطنه أجل اصلاحات حظى بها فى عهده القديم، فإن يكن ثمة فشل فهوفشل الحكم الملكى الاستبدادى.

وفيما يتعلق بالتجربة الثانية، فقد صدرت قرارات التأميم والاشتراكيون معتقلون، فسقط القطاع العام فى يد البيروقراطية العتيقة القارحة، ومارس نشاطه فى ظل حكم استبدادى رهيب، حمى الطغاة والمفسدين المعوقين. فإن يكن ثمة فشل فهو فشل الاستبداد والبيروقراطية.

الديمقراطية لم تجرب ولا الاشتراكية، ولكن أعداءهما ينتهزون فرصة الأخطاء والنكسات ليحملوهما الإثم والمسئولية.

والحق أن الذى نال فرصته دون شريك وثبت فشله دون شك، وتأكد ذلك بعواقبه الوخيمة هو الاستبداد أولاً وتليه البيروقراطية.

وجميع ما نعانى حتى اليوم من سلبية وإهمال وتسيب هو من صنعهما ونتيجة لهما. فلنعرف عدونا الحقيقى لنقتلع الشر من جذوره ونمضى فى طريق سوى مستقيم.

١٩٨٣/١١/١٠.

مالا تستطيعه الوزارة المحايدة

تطالب المعارضة بوزارة محايدة لإجراء الانتخابات ضماناً لنزاهتها. ومن حق المعارضة أن تطالب بنزاهة الانتخابات، وبالضمانات الحاسمة كوضعها تحت إشراف شامل للهيئة القضائية، ويؤيدها فى ذلك الشعب والأخلاق وآمالنا المعقودة على قيام حكم شعبى يرعى الحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية، ولكن ليس من حقها أن تطالب بوزارة محايدة.

أولاً: لما يتضمنه ذلك من اتهام جائر للوزارة القائمة بعد أن أثبتت حيدتها الكاملة أكثر من مرة.

ثانياً: لما تعنيه المطالبة من تجاهل للتصريحات القوية المعلنة مراراً من السادة رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ووزير الداخلية، بالإضافة إلى سلوك الدولة العام فيما يتعلق باحترام القانون وتقرير سيادته.

ونحن لانطمح إلى مجرد انتخابات نزيهة،ولكن إلى إرساء مبدأ عام فى التعامل مع الشعب واحترام إرادته ، مبدأ يفتح صفحة جديدة فى حياتنا الديمقراطية ثم يندرج بين أقدس تقاليدنا جيلاً بعد الجيل. وهيهات أن تحقق لنا هذا الهدف وزارة محايدة لا مصلحة لها فى المعركة فتجىء نزاهتها حتمية لا فضل لها فيها ، ولن يتحقق الهدف وتتكرس الإرادة الخيرة ويستقر المبدأ إلا إذا أجريت الانتخابات وزارة مشاركة فى المعركة فضمنت لها مع ذلك حيدتها ونزاهتها. هناك نطمئن حقًّا إلى اعتناق تقليد شريف جديد فى حياتنا السياسية ، وهناك تحل ثقة جديدة متبادلة بين الحكومة والشعب ، ويتخلق أساس جديد للمعاملة السياسية فى بلادنا ، وهناك نستطيع أن نقول إننا اجتثثنا من تاريخنا تراثاً أسود طالما لوث حياتنا فى الماضى البعيد والقريب ، فجعل منها أكذوبة أو ملهاة مأساوية.

١٩٨٤/٢/٢.

دفاعاً عن الخطة والجمهور

يلزمنا في ظروفنا الراهنة مسئولان كبيران في كل وزارة، يختص أحدهما بالسهر على الخطة ومتابعة تنفيذها، وتذليل ما قد يعترضها من عقبات، ورفع تقارير دورية عنها للوزراء، ويختص الآخر برعاية الجمهور في قضاء مصالحه وتحقيق مطالبه والنظر في شكاواه.

وقد دعاني إلى طرح الاقتراح الأول ما تتطلبه الحياة الديمقراطية الحزبية من تحويل الوزير من رجل فني إلى رجل سياسي، وما نلمسه اليوم من انهماك الوزراء في النشاط السياسي والاتصال بالجماهير، سواء عن طريق أجهزة الإعلام أو الرحلات أو تحرير المقالات، بالإضافة إلى نشاطهم المعهود في مجلس الشعب، مما يضيف إلى أعبائهم الأصلية الثقيلة أعباء جديدة لا تقل عنها ثقلاً، ونحن نرحب بهذا النشاط ونطمح إلى المزيد منه تحت شرط ألاّ يكون على حساب الطاقة المخصصة للخطة التي عقدنا بنجاحها الأمل في الخروج من أزمتنا والانطلاق في سبيل الرخاء والتقدم.

أما الاقتراح الآخر فقد دعانى إلى تقديمه ماأشهده من معاناة أصحاب المصالح والمطالب، إنهم يدورون فى حلقة مفرغة من الإرهاق والمهانة وضياع الوقت، ويتكالب عليهم الجهل بالمكان المقصود، والإجراءات المطلوبة، وبلادة الروتين، وعنت الموظفين، ويصبحون ويمسون على حال لاتليق بمواطن صالح فى بلد طيب يعرف للمواطن حقه وللإنسان كرامته، فلابد للجمهور من كبير مسئول يرعى مصالحه، ويصون كرامته، وييسر له الأمور.

إن ماأقترحه فمن أجل الخطة والجمهور، وليس فى حياتنا اليوم ما هو أهم من الخطة، اللهم إلا الجمهور الذى وضعت الخطة من أجله.

١٩٨٤/٢/١٦.

في سبيل معركة صادقة

عهود القهر أورثتنـــا عادة ذميمة، أن يكون لنا في كل مسألة قولان: قول نعلنه على الناس إيثاراً للسلامة، وقول نتهامس به في مجالسنا الخاصة يعبر بصدق عما يجول في خواطرنا أو تنبض به قلوبنا. وتناولنا أجل أمور حياتنا وأخطرها في تقرير المصير بذلك الأسلوب الملتوى ذى الوجهين، مثل قضية الحرب والسلام، الاشتراكية، دور الدين في الحياة، العروبة، التعليم إلخ إلخ. وتغير أخيراً وجه الحياة فساد القانون، وتحرر الرأى الآخر ورسخ الأمن والأمان، ولكن العادة الذميمة لم تستأصل بعد، ثم تفشى جو المعركة الانتخابية بما يدعو إليه عادة من المنافسة والرغبة في الانتصار، فارتدت العادة إلى سابق قوتها، وكثرت الاقنعة الزائفة فوق الوجوه.. فحتى متى تظل أمورنا الجوهرية معلقة في الهواء بغير وضوح وحسم؟!.. إنى أناشد ساستنا من جميع الأحزاب أن ينسوا أنهم يخوضون معركة من أجل النصر، وأن

يجمعوا شجاعتهم من أجل الوطن ليجعلوها معركة فى سبيل الحقيقة والوضوح، وليكن من نتائجها مايكون، ليعلن كل حزب ما يؤمن به حقًا وصدقاً، ومايأنس فيه الخير دون تقدير للعواقب. قد يكون فينا من يؤمن بالحكم المطلق فليعلن ذلك، والداعى إلى الحكم المطلق بصدق خير من الديمقراطى الزائف. وقد يكون بيننا من يؤمن بالرأسمالية الحرة فليعلن ذلك، ورب رأسمالى مخلص خير من اشتراكى كاذب. وقد يكون فينا من يؤمن بأن الدين لله والوطن للجميع، فليجهر بإيمانه. والعلمانى الأمين خير من الدينى الذى يردد مايقوله غيره. وهكذا، نريد الصدق والوضوح، ولا فائدة من أن تكسب معركة وتخسر نفسك، ومن ينتصر بالكذب سينهزم عاجلاً أو آجلاً فى الممارسة. وطوبى لمن يجعل من المعركة معركة شرف لامعركة سياسة وانتهاز للفرص.

١٩٨٤/٢/٢٢.

حول تعدد الأحزاب

المسوغ الاجتماعى والمنطقى لقيام الأحزاب هو اختلاف الرؤية والمبادىء، ومايتبع ذلك من تعدد حتمى فى البرامج، وإلا أصبحت الحزبية ضرباً من الخصومة الشخصية، أو ستاراً لما تضمر من رؤية ومبادىء غير ما تعلن للناس. وفى نطاق القوانين الراهنة تضيق فرص الاختيار أمام بعض الساسة والتيارات الكائنة بالفعل فى واقعنا، بسبب حرمانها من حق تكوين أحزاب تعبر عن مقاصدها.

وأخشى ما أخشاه أن تعرض علينا رؤى ومبادىء وبرامج متماثلة أو متقاربة، فينادى كل حزب بالديمقراطية والعدالة الاجتماعية والعروبة الخ الخ، وعند ذاك يحول الناخب مؤشره من المبادىء إلى الأشخاص، أو يستجيب لمصالحه الشخصية، أو يندفع مع عواطف الرضا أو السخط كيفما اتفق له الحال، وربما تأثر الرأى العام، فى بعض مواقعه بالتيارات المحرومة من الشرعية فتجىء النتيجة غير عادلة

ولا معقولة بالنسبة للمتنافسين، ولا حيلة لنا فى علاج هذا النقص إلا بأن يركز كل حزب فى بياناته على أوجه الاختلاف والتمايز بقدر ما يستطيع، وعلى اقتراح الحلول الجديدة للمشكلات القديمة كى يبلور لذاته شخصية متميزة ذات حدود فاصلة.

ولعل الأفضل للحزب الذى يعجزه ذلك أن يندمج فى الحزب الذى يماثله، أو يدعوه للاندماج فيه. ونظرة سريعة على ميدان السياسة تقطع بأنه يمكن أن يستقطب حزبين كبيرين لا أكثر فى الظروف الراهنة، أحدهما للديمقراطية الاشتراكية والآخر لليبرالية.

وهذا تنظيم قد لا يرتاح له البعض، ولكنه خير من التعدد السطحى. وأنفى عند الناخب للبلبلة.

١٥/٣/١٩٨٤.

ثقة الشعب

يبدو أن حكومتنا تجند جميع قواها لتوفير الغذاء والسلاح باعتبارهما غايتين عاجلتين فى قائمة الغايات الضرورية الداخلية. ولا عجب فى ذلك، ففى أفق الغد تلوح سحب أزمة غذائية عالمية لم يشهد لها العالم مثيلاً من قبل، وعندها ستنقسم الأمم إلى دول غنية فى الغذاء وأخرى تتسول غذاءها من الأمم الغنية، وتخضع لها خضوعاً لا يجدى معه تمرد أو ثورة. فالاكتفاء الذاتى فى الغذاء سيعنى إمكانية الحياة والقدرة على ممارسة الحرية والكرامة، أما السلاح فلا غنى عنه حتى لأمة مسالمة تجعل من السلام أمنية من أعز أمانيها، إذ لا قيمة لأى قيمة فى هذه الدنيا إن لم تدعمها القوة. على أن هناك غاية هامة لا يرد ذكرها عند إحصاء الغايات، ولكنها كالروح، لا تُرَى ولا تُحس، ولكن الجسم بدونها يصير جملة من الأعضاء المطروحة بلا حراك، ألا وهى ثقة الشعب. فعلى الحكومة أن تعمل على نيل ثقة

الشعب قبل كل شيء وبعد كل شيء ومع كل شيء، هى الأساس المكين للاحترام، والحافز على الانتماء، والداعى إلى العمل والتضحية، هى روح الجماعة وميثاقها غير المكتوب، ووجدانها العائلى العامر بالحب والدفء، ولا يتأتى اكتسابها إلا بالشجاعة والنزاهة والإيثار، وتقديس المصلحة العامة، لا يتأتى اكتسابها إلا بالصدق الكامل عند بذل الوعود أو التصريح بالبيانات، وبعفة اليد واللسان، وبالعدل والمساواة فى معاملة المواطنين بلا تفرقة من طبقة أو حزب أو دين، وبخدمة الجمهور بالأمانة واليسر والاحترام، وبإشراك الخصوم مع المؤيدين فى العمل القومى، بالاعتزاز بالعمل الصالح والاعتراف بالخطأ، ثقة الشعب هى وليدة الحكم الصالح والضمان الأبدى، وراء كل خطة، وكل حرب، وكل سلم.

١٩٨٤/٣/٢٢.

معركة جادة فى فترة جادة

تبلغ المعركة الانتخابية ذروتها فى أبريل ومايو، وهو تاريخ يتفق على وجه التقريب مع نهاية السنة الثانية من الخطة، ويوشك أن يتفق مع بدء السنة الثالثة،وبذلك تتهيأ فرصة فريدة لعرض ماتم إنجازه فى السنة الماضية وما تقرر إنجازه فى السنة الثالثة فيما يتعلق بأوجه الإنتاج والخدمات، وهو ما يهمنا في الوقت الراهن من حياتنا أكثر مما يهمنا الماضى بإيجابياته وسلبياته، فيصلح لذلك موضوعاً للمعركة الانتخابية تتجلى من خلاله الآراء وزوايا الرؤية ومواقف الأحزاب العملية دونما حاجة إلى الخوض المسهب في الآراء والنظريات. وإذا التزم الجميع بالموضوعية والصدق وأعطوا ما لديهم من آراء فى العرض والنقد عاد ذلك على الخطة بخير ما يتاح لنا من وسائل الفحص والتقويم، وأمكن الناخب فى الوقت نفسه أن يتبين الفوارق بين زوايا النظر التى تعكس الفوارق الطبيعية والأيديولوجية بين الأحزاب دون حاجة إلى

الخوض فى الآراء والنظريات. ولن نجد موضوعاً لمعركة موضوعية متزنة مثل خطة التنمية الشاملة، ولعله أهم ما يشغل العقول والقلوب فى هذه الفترة الحرجة من حياتنا، فضلاً عن شموله لجميع أوجه النشاط فى مجتمعنا من زراعة وصناعة وعلم وتعليم وثقافة وغذاء وكساء وصحة وتعمير وأصول الحكم والتشريع، بالإضافة إلى أن يجنبنا التورط فى معارك جانبية عديمة الجدوى ومهاترات تتعلق بماض مضى وانقضى بخيره وشره، وقيل فيه كل ما يمكن أن يقال، ولن نجنى من الإلحاح عليه إلا الخصومة والعنف وإثارة الغبار، فى وقت عصيب حافل بالمشاكل والأخطار والجدية، ويطالبنا جميعاً بالجهد والهمة والعمل الصادق.

١٩٨٤/٤/٥.

العودة إلى الاهتمام

ثمة ظاهرة جديدة تتفشى فى المجال الذى أتحرك فيه ، هى الحديث المتصاعد عن المعركة الانتخابية ، والموازنة بين الأحزاب. وأسلوب إدارة المعركة ، ولعلك تجد امتداداً لذلك فى بعض آراء قراء الصحف والمجلات ، وليس مايمنع من الاستنتاج بعمومية هذه الظاهرة ، وبأنها تبشر بعودة إلى الاهتمام بالحياة العامة ، والمشاركة فيها بعد أن أوشكت هموم الحياة اليومية على الاستئثار بوجدان المواطن . وهى فى ذاتها ظاهرة صحية ، وربما ترجمت يوم الانتخاب إلى زيادة فى عدد المشتركين بين المسجلة أسماؤهم فى الجداول . أجل لم تعد ثمة فرصة لتسجيل أسماء جديدة ولكن الاهتمام يعنى تحولاً ذا شأن حتى لو لم ترتفع النسبة شيئاًمذكوراً ، فالاهتمام يعنى حياة جديدة للشعب ، وتغيراً حاسماً فى مستقبل حياتنا السياسية ، والتوجه نحو الإيجابية والمشاركة والانتماء . وربما رجع الفضل فى ذلك إلى عاملين مهمين :

الأول: ما صدر عن المسئولين من تصريحات واضحة عن نزاهة الانتخابات مقرونة بالسلوك الفعلي للسيد وزير الداخلية فى ذلك، وما يصاحب جو المعركة من حرية فى القول والحركة، واعتماد الحزب الحاكم على نشاطه الذاتى اعتماد من يدخل المعركة مستنداً إلى انجازاته ووعوده لا إلى قوة سواها.

والثاني: عودة الوفد إلى الحياة السياسية منطلقاً من قاعدة شعبية غير الاتحاد الاشتراكى الذى تسلسلت منه الأحزاب الأخرى، الأمر الذى خلق فى الميدان خصماً جديداً وجدلاً صادقاً وتحدياً لا مرية فيه، من شأنه أن يبعث النشاط فى الساحة كلها. ومهما يكن من أمر فإن صح اعتقادى فى ظاهرة الاهتمام فإنها تسجل نصراً للأمة قبل خوض المعركة، وبصرف النظر عن نتائجها، وهو أهم فى نظرى من المعركة ونتائجها.

١٩٨٤/٥/١٠.

المعركة والثورة

في أى برنامج من برامج أحزابنا تقرؤه يطالعك وجه ثورة يوليو بقسماته الواضحة المعبرة، يستوى فى ذلك الجميع ما بين وفد ووطنى وتجمع وعمل. فمفردات مثل القطاع العام، والمكاسب الوطنية للعمال والفلاحين، ومجانية التعليم، والإصلاح الزراعى، والتصنيع، والتجمع العربى، تجدها هنا وهناك كمسلمات ثابتة، وإن تعددت زوايا النظر إليها فى درجات الاعتدال أو التطرف، واقتراحات التعديل أو التجديد. هكذا فرضت الثورة إيجابياتها على الجميع، مبرهنة بذلك على أنها أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حيوية مصر وتطورها ومستقبلها، دالة بذلك على أنها كانت ثورة حقيقية من ثوراتنا الخالدة، وحلقة طبيعية فى سلسلة كفاحنا المتصل المستمر، وأن ما أنجزته من أعمال كبار لا يمكن أن يتجاهل أو يضيع. وقد تصدى لها أعداء يرومون محوها من صفحات التاريخ، متخذين من سلبياتها حجة لإنكارها، بل

ومنكرين إيجابياتها ومتحاملين عليها بتعنت يبغى إلحاقها بالسلبيات، وما ننكر السلبيات، ولا ننسى الاستبداد والإرهاب والفساد والهزائم، ولكن يظل البناء برغم ذلك شامخاً باقياً، وترغم قوة الحق الجميع على الاعتراف به والتسليم له. وجاءت المعركة الانتخابية لتدعو جميع المشتركين فيها إلى التأمل وإعادة النظر، والارتفاع إلى مستوى المسئولية التاريخية أمام الجماهير، فاقتنع الجميع ــ وكلهم وطنيون صالحون صادقون ــ بأن اللغة الجديدة بمخاطبة الناس لا يمكن أن تخلو من إنجازات الثورة التى حررتهم من قيود كثيرة وفتحت لهم أبواب الأمل، ومدت يد الإخاء إلى جميع الكادحين، ودفعت بالوطن إلى أطوار جديدة من أطوار العصر فى العدالة والعلم والتقدم. حقاً لقد هلت الديمقراطية لا لتتجنى على الثورة، ولكن لتعترف بها الاعتراف الشامل، وتضمها إلى سجل الشرف والخلود.

١٧/٥/١٩٨٤.

عهد جديد

انتهت المعركة الانتخابية بخيرها وشرها وأسفرت عن نتيجة شرعية مهما قيل عن سلبياتها، وقد التزمت الشرطة بالحيدة والعدل مما نأمل معه أن يصير التزامها عهداً مقدساً ترتكز عليه المعاملة فى هذا الوطن، أجل لم تفز المعارضة بالضمانات التى طالبت بها، ولكن نجاح الأغلبية يرجع قبل كل شىء إلى جدارة رئاستها وتطهيرها لبنيانها والإنجازات التى قامت بها بفضل ممارستها للحكم، وكلها امتيازات مشروعة تستحق التأييد والتشجيع. ونحن نهنىء من فاز بالأغلبية والحكم، ونرى أنه قد فاز بحمل أمانة ثقيلة فى فترة حرجة تكتنفها المشكلات فى الداخل والخارج، ونأمل أن يواصل الكفاح بقوة أشد وحماس أعظم بعد أن بارك الشعب عمله وأولاه ثقته. ونهنىء كذلك من فاز من المعارضة، ولا شك عندنا فى أن المعارضة عضو حيوى فى جهاز الحكم يواليه بالنقد البناء والنصح الأمين، ويسدد

خطاه نحو الهدف الأعلى الذى تتطلع إليه الأمة بجميع أحزابها وأحلامها، ونرجو منهم خاصة أن يعيدوا المجتمع إلى توزانه الصحى الطبيعى، وحياته الديمقراطية السليمة الخالية من الشوائب والاستثناءات، حرصاً على طريق التطور الآمن، واستحثاثاً للمسيرة الواعية نحو حقوق الإنسان الكامل. ولا نخفى فى الوقت نفسه أسفنا على أصوات الشعب التى أهدرت دون وجه حق، فتعذر على أصحابها الاشتراك فى المجلس، فحرم بذلك من رجال وطنيين مخلصين كان يمكن أن يكونوا اليوم ضمن العاملين فى رحابه، ويعزينا عن هذا الخسران أنهم باقون بوطنيتهم وأفكارهم خارج المجلس يواصلون الجهاد من خلال صحفهم ونواديهم، والعبرة فى النهاية بالعمل قبل أن تكون بالمكان الذى يمارس فيه، فلعل النفوس أن تهدأ وأن ترحم الزعماء والثورات والأجيال والعهود من براكين غضبها، فنكف عن تمزيق أمجادنا وتلويث ذكرياتنا، وأن نتوثب للعمل والبناء والتصدى للواقع ومشكلاته، وعقد العزائم على خلق مستقبل أفضل وتاريخ أنبل.

٣١/٥/١٩٨٤.

المجلس المنتظر

مجلس الشعب المنتظر ستنضج فيه فترة انتقال حاسمة بين ماض مثقل بالتناقضات ومستقبل نأمل أن يقوم على أسس وطيدة من حكم الشعب لصالح الشعب. فالخطة الخمسية ــ وهى محور حياتنا ــ ستحظى بكافة الآراء ووجهات النظر مما يضمن لها المزيد من القوة والنجاح، وسياستنا الخارجية ستؤيد بمساندة قومية تجنبها الزلات وتهديها إلى الصراط. ولا أشك فى أن الفرصة ستتهيأ لإعادة النظر فى الدستور والقوانين الاستثنائية وقانون الانتخاب، مما يضفى على حياتنا المزيد من التوازن والاستقرار والثقة، وسوف يتضح لكل حزب من خلال الممارسة العملية ما يتناقض فيه مع الآخرين تناقضاً جذرياً، وما يتفق فيه مع غيره فى الأصول الجوهرية، فيمهد ذلك لإعادة تشكيل الأحزاب على أسس اجتماعية سليمة لا أثر فيها للنوازع الشخصية،

ولعلى لا أكون مخطئاً فى اقتناعى بأنه يمكن استخلاص حزب وسط

من الوفد والوطنى والعمل والأحرار، إلى جانب حزب ماركسى، وآخر ناصرى، وثالث للتيار الدينى. ولكل حزب من هذه الأحزاب قاعدته ورؤيته، وهو يمكن أن يؤدى رسالة وطنية فى نطاق المجلس مع تهيئة مناخ صالح للتطور الوطيد المستمر نحو الأفضل. وحزب الوسط على قوته وانتشاره بحاجة إلى تجارب الآخرين، خاصة وأنه يلتقى مع الماركسيين فى التطلع إلى العدالة، ومع الناصريين فى المحافظة على إيجابيات ثورة يوليو، ومع التيار الدينى فى استشراف القيم الروحية والحياة المتطهرة، وإذن فنحن ننتظر نتيجة الانتخابات لاستقبال أول تجمع شعبى ديمقراطى منذ الخمسينيات، ونطمح بعد ذلك إلى مولد حياة إنسانية جديدة تحت مظلة الاحترام الكامل لحقوق الإنسان.

١٩٨٤/٥/٢٤.

كلمة إلى الشباب

جاءت المعركة الانتخابية لتؤكد للشباب حيرته، فعلى مرأى ومسمع منه تطايرت الاتهامات بغير حساب عن الماضى والحاضر، عما قبل يوليو ١٩٥٢ وعما بعده، فأصبح من حقه أن يتساءل: أين الحقيقة؟ من المبطل الأمين ومن اللص الخائن؟ وأى الأعمال كان جهاداً ونضالاً وأيها كان عبثاً وباطلاً؟ أكان سعد زغلول ومصطفى النحاس زعيمين مكافحين أم مهرجين؟ وهل كان عبد الناصر والسادات قائدين مناضلين أو رائدين للهزيمة والعار والخراب؟.

وللشباب أقول: إن العلم بالتاريخ لا يؤخذ من أفواه المتخاصمين، ولا تتجلى حقائقه تحت غبار المعارك، ولكن التاريخ يقول كلمته في وقته وبأسلوبه وبرجاله المنزهين عن أى غرض سوى وجه الحق، ولهم أيضاً أقول إن الكمال لله وحده، أما الإنسان فركب من البطولة والضعف، فهو يصيب ويخطىء، ويرتهن حسابه بميزان، ومن يعمل

مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره، وأقول لهم أيضاً إن كل نهضة قامت فى التاريخ مرت بأطوار من العمر كالفرد، فيها طفولة تتكون عندها بذرتها، وطبعاً تتبرعم البذرة وتزكو، وشباب تتدفق منه ينابيع القوة والإبداع، ورجولة تتفتق عن الحكمة والرشد، ثم تدركها الشيخوخة فتتردى فى الأخطاء والوهن، وبذا تتهيأ الفرصة للخلق من جديد، والبعث بعد الموت من خلال أجيال جديدة تستمر بها القافلة فى مسيرتها. فلا يداخلنكم شك فى وطنكم وتاريخه، ولا فى الأجيال ونضالها، ولا ييئسنكم ما سمعتم من سوء عن العهود والرجال، فقد أدى كل جيل واجبه على خير ما يستطيع فى ظروفه وملابساته، ولكل إيجابياته وسلبياته، فلا تدعوا غضب المتخاصمين يجنى على ما قدم الرجال من تضحيات، وما صنعت الأجيال من جيل. ومهما يكن من أمر وضعنا اليوم من متاعبنا ومشاكلنا، فمصر مازالت غنية بأبنائها، وهم ثروة لو أحسن استثمارها لفاق خيرها: البترول والقطن وقناة السويس، وإمكانيات التقدم والتوسع كثيرة غرباً وشرقاً، والخير الموعود أكبر من الشر المتربص، غير أن كفته لن ترجح إلا بإيمانكم وانتمائكم وعقولكم.

١٩٨٤/٦/٧.

كلمة إلى الوفد

عاد الوفد إلى ميدان الكفاح الوطنى ، واحتل فى مجلس الشعب موضعاً كريماً ، فلا يجوز أن تمضى الحياة السياسية بإيقاعها الماضى ، لابد من تغيير يطرأ وأن يكون للأحسن والأفضل . ولا أشك فى أن قاعدته الشعبية تنبض قلوبها بآمال عريقة تود أن يسعى إلى تحقيقها من موقعه الجديد :

١ ــ تود أول ما تود أن يبنى معارضته على مثال فريد فى موضوعيته وجديته ونقائه وتوخيه وجه الحق وحده مواصلة لكفاحه القديم النبيل فى سبيل الوطن الذى جعل منه عقيدة للأمة ومحراباً للوطنيين .

٢ ــ نأمل أن يسعى بكل ما يملك من إيمان بالشعب وقدرة على الإقناع إلى تحقيق ما وعد به فى برنامجه الانتخابى من إعادة خلق الديمقراطية المصرية بحيث تنهض شامخة نقية من الشوائب ، لتستوى فى النهاية موثقاً متيناً لحقوق الإنسان .

٣ـ ولعلها ليست فى حاجة إلى تذكيره بما يجب عليه من الانغماس فى مشكلات الوطن الراهنة التى تابعها من موقع الانعزال طوال السنين الماضية، ليحيط بأصول الأزمة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فيقيم فى حيدة ونزاهة سبل علاجها، ويدعمها بما يراه من وسائل جديدة للتقويم والإصلاح وبلوغ الأهداف من أقصر الطرق، فقد اختلطت علينا الأمور، وتضاربت الآراء والحلول، واندست إليها الخصومة السياسية فملأت الجو ضباباً، وأصاب جمهور المتابعين بالحيرة والقلق. ويا حبذا لو شرع الوفد من فوره فى تكوين لجان متخصصة للدراسة والتقصى واقتراح الحلول السديدة مستفيداً من عطلة الصيف ولو على حساب راحته.

إننا نمر من خلال عنق زجاجة طويل، والوطن فى أمسّ الحاجة إلى تعاون أبنائه وإخلاصهم، والحكومة جادة فى عملها الشاق، وأعتقد أنها لن تستهين برأى نافع، أو تهمل يداً ممدوة بالحب والوفاء لمصر. نحن نأمل أن تمضى المسيرة بعد عودة الوفد بإيقاع أسرع، وإنتاج أغزر، وتقدم أقوى وأرسخ، والله المستعان، والعزة لمصر.

١٩٨٤/٦/١٤.

الشباب والبرامج الحزبية

برغم ما تحدثه المعركة الانتخابية من يقظة عامة ، فما زال يوجد بين شبابنا عدد لا يُستهان به بلا لون حزبى ، أو انشغال سياسى ، وقد قيل عن هذه الظاهرة الكثير باعتبارها إحدى أعراض ضعف الانتماء. ولا أنوى عودة إلى الخوض فى هذا الموضوع ، ولكننى أبغى اليوم التماس مخرج منه بعد أن هيأت حياتنا الديمقراطية الراهنة مناخاً صالحاً لذلك ، نرجو أن نسترد فيه صحتنا النفسية والاجتماعية ، ولعل فى برامج الأحزاب محركاً للاهتمام ، وحافزاً على التفكير فى الشئون الوطنية والقضايا المصيرية ، واقتلاع الشخصية من التقوقع والغربة ، وشد ما أتمنى لو درس شبابنا برامج الأحزاب بتأنٍ وعناية ، ولا يهم أن يتم ذلك الآن ، فغالبية الذين أعنيهم غير مسجلينَ فى الجداول ، أو لم يبلغوا بعد السن التى تسمح لهم بذلك ، المهم حقاً أن يدرسوا البرامج دراسة مقارنة ، ويدلوا فيها برأى ناقد ، ويفاضلوا بينها كيفما يتراءى لهم ، ليعلنوا فى النهاية البرنامج المفضل ، وفى ذلك تحريض للشباب

على التفكير الحر، والأخذ بأسباب الثقافة السياسية، والاختيار الواعى، ولن يخلو من دفعة نحو الانتماء الوطنى، ويمكن أن يتم ذلك فى صورة مسابقة عامة تمنح فيها الجوائز للفائزين استناداً إلى أسس موضوعية من قوة الملاحظة، وعمق النقد، ووجاهة الحجة عند الاختيار، أما عن الجهة التى تقوم بذلك فهى منظمة الشباب أو التليفزيون، أو الاثنان معاً، وحتى لو لم يزد الاقتراح على أن يكون رياضة ذهنية، أو نشاطاً صيفيًّا، فهو جدير بالنظر والتنفيذ.

ثورة يوليو

جاءت ذكرى الثورة هذا العام، والثورة حقيقة دامغة، ونبض مستمر فى قلب الأمة، يعلو على الخصام والمنازعات، ويظلل الأنصار وغيرهم بجناحه المديد. أصبحت إيجابياتها عُمُداً أساسية فى بناء النهضة بمكاسبها الشعبية، وأهدافها القومية، ووثباتها الاقتصادية والاجتماعية، كما باتت سلبياتها القاتلة تحذيراً دائماً للمستهتر، وذكرى للمعتبر، وزجراً للسادر، وموعظة حية للمفسدين فى الأرض من القتلة واللصوص والغافلين. وقد أوشكت يوماً سلبياتها أن تقضى على إيجابياتها، وتقتلع جذور الأمل فى إنقاذ ما يمكن إنقاذه منها، لولا أن أطال الله بقاءها، ومد فى عمرها رحمة بالشعب البرىء، فهيأ لها سبل التوبة والندم والتصحيح، فواصلت مسيرة الكفاح المرير، متحدية موجات العذاب والصبر والنضال.

كان يمكن أن تنتهى غداة الاعتداء الثلاثى لولا الموقف الدولى،

وكان يمكن أن تُصَفَّى بعد ٥ يونيه لولا أن استمد الجمهور من يأسه قوة وعزماً وعناداً، فبقيت لتجدد ذاتها فى جهد وتعثر حتى استخلصت لنفسها من الدهر أياماً منعشة مشرقة مثل ٦ أكتوبر و٢٥ أبريل .

ثم تسلمها عهد عاقل كتب على نفسه أن يكفر عن السيئات، ويصحح الأخطاء، ويعترف بالشعب مصدر القوة والسلطة والتاريخ والحاضر والأمل، وأن يكرس جهده للخدمة والإصلاح، والبعث والتجديد، معتصماً بالنزاهة والصدق، والأمانة والوطنية، والحكمة، وبفضله اتضحت الرؤية، ووثبت الهمم، وعرف لكل شيء قدره وواجبه .

فكانت الثورة نفسها من ضمن ما عرف قدره، واعترف بأثره إيجاباً وسلباً .

فلندعُ الله أن تمضى السفينة فى طريقها نحو ما يهتف به قلب كل مواطن . آمين .

١٩٨٤/٧/١٩ .

مطالب ديمقراطية

ها نحن نمارس حياة ديمقراطية حقيقية . وها هى المعارضة تربض فى مجلس الشعب يقظة متوثبة لأداء واجبها القومى ، تساندها معارضة خارج المجلس لا تقل عنها قوة وتصميماً . وسوف تجد الحكومة نفسها مشتبكة فى حوار متصل مع الرأى الآخر لا يعرف الإغضاء أو المهانة ذوداً عن الحق والحقيقة .

وكما نطالب المعارضة بالموضوعية والجدية نطالب الحكومة بسعة الصدر والأفق وإحاطة الخصام الفكرى بما يستحق من تقبل واحترام ورضاء ، فما الديمقراطية إلا مسئولية وعبء ونقد ومحاسبة . ولكن على الحكومة ــ بالإضافة إلى ذلك ــ أن تقوم بواجبها العام وعلى أكمل وجه نحو الخطة والسياسة الداخلية والخارجية وحل مشكلات الجماهير اليومية . وأخشى ما أخشاه أن يحسب نشاط المعارضة عليها لا لها ، بأن تتهم عند تتابع حملاتها بتبديد الوقت الثمين والطاقة الغالية فى غير ما هو أحق بها .

من أجل ذلك أعود إلى اقتراح قديم طالما رددته بخصوص توزيع العمل فى الوزارات ، ولعل الحاجة تشتد إليه كلما تقدمنا فى طريق الديمقراطية خطوة جديدة ، فلا مفر من أن تلقى الحياة الجديدة على الوزراء أعباء جديدة يتطلبها العمل فى مجلس الوزراء ومجلس الشعب وأمام الجماهير، ولابد من تخصيص مسئولين على أكبر مستوى من المسئولية لتنفيذ الخطة ومتابعتها ومراقبتها ، ورعاية خدمات الجماهير فى الأنشطة المختلفة لنحافظ على الإيقاع المنشود فى التنفيذ والأداء ، فى جميع الظروف والأحوال .

بذلك تمنحنا الديمقراطية خير ما تجود به على الشعوب من الحرية والشورى والنقد البناء والمراقبة الساهرة والمحاسبة النزيهة ، وتكون فى الوقت نفسه قوة دفع فى مجال العمل والإبداع لا تتوقف .

١٩٨٤/٨/١٦ .

٦ أكتوبر

ها هو يوم النصر يعود بذكرياته فيتألق نوره الباهر فى جونا المتحدم بجدية الكفاح فى سبيل الوجود والحضارة. يهبنا بسمة سرور تخفف من غلواء العناء، وتحفز إلى المزيد من التفكير فى المشكلات وحلولها، وتفتح للأنفس المجاهدة نوافذ جديدة للأمل فى نصر جديد على التحديات المحدقة بنا هلموا نذكر بالحب والشكر الأبديين آلاف الشهداء الذين استنقذوا الروح العربية من مستنقع ٥ يونية، فأعادوا إليها ثقة الرجولة وعزيمة الكفاح بالتضحية بأرواحهم الغالية، وفى مقدمتهم بطل اليوم نفسه أنور السادات، الذى قضت المقادر أن ينتظمه طابور الشهداء وهو يحتفل بالنصر وذكرى شهدائه، إلى ذلك كله كان اليوم مدخلاً لسياسة جديدة هى سياسة السلام الشامل والبناء الكامل، وانتشالاً لنا من خندق اللاسلم واللاحرب الذى فرض علينا أعباء الحرب بلا حرب، واستنزف دماءنا وأموالنا بلا

هدف ، كما كان مولداً لجيل جديد من أبنائنا يحملون اليوم الأمانة بكل شجاعة ، ويتصدون للتحديات بالنزاهة والوطنية والعلم . ها هو ذا يعود اليوم فيجدنا فى خضم معركة أشد من المعركة التى حسمها ، معركة تفتتح العام الثالث من خطتها ، محققة نجاحاً غير منكور، متطلعة بتصميم إلى النجاح النهائى بإذن الله وهمة المواطنين فى جو من الديمقراطية وحقوق الإنسان والانضباط ، وتعاهد على مواجهة الحقائق وإعلانها ومعالجتها بما تقتضيه من عزم وتضحية وصبر وتضامن . ومن الآن فصاعدا فلن يعلو صوت على صوت الوطن ، ولا ينادى بشعار إلا مصلحته وتقدمه . فعلينا كلما اشتد الأمر أن نرجع إلى قاموس ٦أكتوبر نستمد من مفرداته العزيمة والأمل والنصر.

٤/١٠/١٩٨٤.

بدايـــة موفقة

بدأت حياتنا الديمقراطية مسيرتها الرسمية بداية ناجحة تبشر بالخير والفلاح. من ناحية دعت الدولة والمعارضة للمشاركة فى مواجهة التحديات وحل المشكلات الكبرى، كما أوسعت لها مكاناً مرموقاً فى وفودها الرسمية وتكويناتها الشعبية، فسلمت بذلك بأن المعارضة ليست خصماً، ولكنها صوت من أصوات الشعب، وقاعدة من قواعده، قد تختلف فى الرؤية مع الأغلبية، ولكنها تتفق معها فيما تأمل للوطن من خير وتقدم وسعادة. ومن ناحية أخرى مارست المعارضة واجبها، مقدمة خير ما لديها من علم وخبرة وحماس، ملتزمة بالموضوعية وأدب الحوار، ومنضمة إلى الأغلبية فيما رأت أن المصلحة العامة تقتضى توحيد الرأى والصف فيه، فسلمت بذلك بأن الحكومة ليست خصماً، وأن الحكم ليس غاية فى ذاته، وأن واجبها قبل كل شىء وبعد كل شىء هو إعلان الحقيقة وتأييد الحق، وتقديم النصحية، ومحاربة التهاون من

أجل خير الوطن وسعادته ، ولا أطمع فى أن تسير الأمور دائماً وأبداً على هذا المنوال الفريد ، بل يجب أن نتوقع أن تندلع من حين لآخر معارك حامية ، ولعلى لا أشفق من ذلك ولا أكرهه ، بل لعلى أرحب به طالما أنه من طبائع الأشياء وما يحتمه الاختلاف فى الرأى ، إنما المهم أن نحافظ فى جميع الأحوال على الموضوعية وأدب الحوار ونزاهة المقاصد.
ونتيجة لذلك كله أصبحت صفحة مجلس الشعب فى الصحف صفحة حية هامة مقروءة وأخذت تلمع على جبينها نجوم جديدة من المعارضة والأغلبية ، ومن بينها رئيس المجلس نفسه ، بما يهيئه للحرية من احترام وسيادة ، وبمعنى قد ردت الروح لمجلسنا النيابى ، وتمهد السبيل للانتماء والالتحام وتحقيق الآمال .

١٨/١٠/١٩٨٤.

معنى الحزب

الحزب الجديد بهذا الاسم له عمل ورسالة . أما عمله فهو المشاركة فى الحياة السياسية تأييداً أو معارضة . وأما الرسالة فهى صوته النابض بمبادئه ، والموجه بشتى الوسائل إلى الناس بصفة عامة ، والشباب منهم بصفة خاصة . إذا أردت أن تقيم حزباً فانظر إلى شبابه تتجل لك قوته الحقيقة ومستقبله الحقيقى كمًّا وكيفاً ، وقوة انتماء ، وإيجابية ، وشدة وعى ، وحماس قلب . وقوة الشباب على المدى الطويل أهم من امتيازات السلطة ، ونفوذ الإدارة ، وجاه الوظيفة .

ورسالة الحزب تتجاوز حدوده كهيئة محددة لتنتشر فى الجماهير فتربيها تربية سياسية موجهة ، وتحملها على الالتزام بالمجتمع والقيم والمثل العليا ، وتعدها لحمل المسئولية على هدى من الضمير الفردى والاجتماعى ، وتحميها من الضياع واللامبالاة والأنانية .

ومن هنا يكون مدخل الحزب إلى الوطنية بمعناها التربوى الشامل. وإلى الإنسانية بقيمها الرفيعة، ويتحقق له دور فى بناء مجتمعه وتكوين مواطنه، فيصبح بالتالى مؤسسة ضرورية كالمعاهد والجامعات.

ولكى يؤدى الحزب واجبه فى هذا المجال الخطير فعليه أن يتفقه فى معرفة رسالته ليجعل منها فلسفة متكاملة متميزة. وعليه أن يكون قدوة طيبة فى الإيمان بها والإخلاص لها والتضحية فى سبيلها، وألا يتوانى فى الدعوة لها بجهازه الإعلامى معتمداً على صحافته، ومؤلفات مُنَظِّريه، ومحاضراته وخطبه.

الحياة الحزبية حياة سامية نشيطة لا تعرف الراحة، ولا تقتصر على السياسة المباشرة فى المجلس، إنها قبل كل شىء ــ وبعد كل شىء ــ دعوة حية مفتوحة موجهة للأجيال الصاعدة، لتخلقهم خلقاً جديداً، وتشكل المستقبل تشكيلاً جديداً يستهدف فى النهاية المجتمع الأفضل، والإنسان الأكمل.

٨/١١/١٩٨٤.

أعوام حاسمة

السنوات الخمس القادمة تعتبر من أهم فترات العمر فى حياة مصر، فى أثنائها تنتهى الخطة الخمسية الأولى ونشرع فى تنفيذ الخطة الثانية ، وتتحقق لنا تنمية جادة فى جميع أنشطة الحياة ، من صناعية ، وزراعية ، واجتماعية ، وتربوية ، وعلمية ، وثقافية ، مما نرجو معه أن يشعر المواطن العادى بتحسن فى الأحوال ملموس ، وأن يأمل فى المزيد منه بثقة ويقين . وفيها أيضاً تبرز إلى الوجود أحزاب جديدة ، وتتولد الديمقراطية بالممارسة الفعلية فى مؤسسات الدولة وأجهزتها الإعلامية . وفى مقدمة ما ننتظره من الحكومة والمعارضة أن ننقى وجه ديمقراطيتنا مما يشوبه من قوانين استثنائية أو رجعية ، ولو اقتضى الأمر قراءة جديدة للدستور توفق بين نصوصه وبين واقع حياتنا الذى أعتقد أنه جاوز النصوص بما يسوده من روح وطنية سامية ، وانحياز واضح للحرية ، واحترام حقوق الإنسان وسوف تتاح لنا فرصة متجددة

وفريدة للحوار بين الأحزاب من ناحية، والحكومة من ناحية أخرى، وبين الأحزاب بعضها البعض. وفى اعتقادى أننا لو احتكمنا للعقل وحده فقد تجرى حركة طبيعية بين الأحزاب على ضوء المبادىء الحقيقية، لعلها تسفر عن عدد محدود منها، ولكنه مركز المضمون، واضح الحدود بين الأهداف، يساعد المواطنين على الاختيار دون بلبلة أو افتعال، حتى تجىء الانتخابات القادمة أصدق تعبيراً عن القاعدة الشعبية، وأدعى إلى الإيجابية والانتماء.

على مصر أن تكون المثال الهادى فى المنطقة للتقدم القائم على العلم والإيمان، والديمقراطية المؤسسة على العدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان.

١٩٨٤/١١/١٥.

حزب الأغلبية

لا أقصد حزب الأغلبية الرسمى، الحزب الوطنى الديمقراطى، ولكن أقصد الحزب الآخر الذى يعمل فى الظل، بعيداً عن ميدان السياسة والحياة العامة، وإن امتد أثره إلى السياسة والحياة جميعاً، ولم نكن نجهله، ولكنا عرفناه بطريقة تلقائية، ولمسنا آثاره فى ظاهرات اجتماعية لا تخفى دلالتها على عقل، مثل التجمعات الرافضة والمهاجرة، والسلوك العابث والمتسيب والمستهتر بالقيم، والمواقف والأحاديث اللامبالية، وغير ذلك، حتى عرفناه معرفة إحصائية لمناسبة الانتخابات، فإذا به حزب ضخم يقارب الراشدون منذ العشرين مليوناً من الأنفس عَدًّا، منهم فريق لم يسجل اسمه فى جداول الانتخابات، وفريق لم يتحرك يوم الانتخابات برغم تسجيل اسمه فى الجداول، وحتى لو فرضنا أنه يوجد فى هذا الحزب الهائل ممتنعون عن المشاركة لبواعث إيجابية ومنطقية، فلا شك أن الأغلبية الغالبة قد

امتنعت للسلبية واللامبالاة والانحصار فى دائرة اللاوعى. وقد قيل فى أسباب انتشار الداء على هذا النطاق الكبير ما قيل، من أنه نتيجة حتمية للحكم الشمولى، والحروب، وسوء الحالة الاقتصادية، وسوء التربية الوطنية بصفة عامة. ويمكن أن يُقال أيضاً إنه ـ داء السلبية ـ كان بدوره من أسباب مضاعفة الفساد مثل تفشى الانتهازية والأنانية، واشتعال الحرائق، وانهدام الضمائر وسوء معاملة الجماهير فى مراكز الخدمات. ولن يثمر علاج حقيقى إلا بالإصلاح العام، بالديمقراطية، والإنتاج، ورفع مستوى الخدمات فى جميع المجالات، مع تكثيف حملات التربية فى المدارس وأجهزة الإعلام، وأيضاً فإن للأحزاب دوراً فى هذا الميدان، فالحزب المتطلع إلى الشعبية الحقيقية يجب أن يعرف السبيل إلى قلب ذلك الخصم البشرى الغائب، وأن يكون له قوة جذب بما يقدمه من قدوة وطنية وفكرية، وبنشاط كوادره المنتشرة فى الأقاليم، وسنعرف نتيجة ذلك عند إحصاء التسجيلات الجديدة فى جداول الانتخاب التى نرجو أن تجىء مبشرة بتحويل القوى المبعثرة إلى قوى بناءة لخير الوطن.

١٩٨٤/١٢/١٣.

الحزب والتنمية

يجب أن يكون للحزب دور فى التنمية الشاملة يتجاوز تبعاته كقوة معارضة ، أجل ، فالحكومة هى واضعة الخطة ، وهى المهيمنة على تنفيذها ، ولكن التنمية كالجو لا يفلت من التفاعل معه فرد أو جماعة ، فالناس هم الأيدى المنفذة لها ، والأعين الساهرة عليها ، وهم المنتفعون بها فى شتى صورها الزراعية والصناعية والتعليمية والثقافية والصحية الخ ، إنها نشاط شامل أكبر من أن تختص به هيئة ، ويجب أن يكون لكل فرد فيه دور يتحدد من موقعه كمنتج أو مستهلك . ومن هنا تجيء أهمية الدعاية لها والتربية الخاصة بها ، والدولة تقوم بواجبها فى هذه الناحية فى مجالها ، ويجب أن يؤديها الحزب كذلك فى مجاله وبين رجاله وشبابه . عليه أن يدعو القادرين من المنتمين إليه إلى إنشاء المشروعات الاستثمارية المنتجة فى نطاق الخطة ، وأن يدعو غيرهم إلى الادخار فى القنوات التى تصب فيها ، كما عليه أن يدعو قاعدته إلى

الانضباط في الاستهلاك، وإلى تشجيع الإنتاج الوطنى وإيثاره على غيره. وللحزب الوطنى نشاط معروف فى هذا الميدان، كذلك قد اتجه الوفد منذ بدء حياته الجديدة إلى إنشاء مصرف تنمية للمعوقين. وما أجدره أن يوسع نشاطه فى هذا المجال من أجل الحاضر والمستقبل، وأخيراً وليس آخراً من أجل الحضارة والتقدم. أود ألا يقنع الوفد بالمعارضة مؤجلاً الخير لأى سبب وبأى عذر. وقديماً لم يتهيأ الحكم للوفد إلا حوالى ست سنوات متفرقة أدى فيها لوطنه خدمات جليلة لا تنسى، ولكنها تعتبر مآثر ثانوية إذا قيست إلى أثره الدائم كمدرسة للوطنية والديمقراطية دأبت على بث روحها المبدع الخلاق بين الجموع. وما نطالبه اليوم إلا بمواصلة عمله القديم، أن يكون مصدر إشعاع للحرية، والوحدة الوطنية، والخلق والإبداع فى مجال الخير، وبين الجموع فى الشارع والقرية.

١٩٨٤/١٢/٢٠.

عودة إلى قانون الانتخاب

فى شتى المناسبات يتعرض قانون الانتخابات الجديد للنقد، فى مجلس الشعب أحياناً، وفى الصحف فى كثير من الأحايين، وأوجه النقص التى يكشف عنها النقد متعددة، ويشتد التركيز على حرمانه المستقلين من حق الترشيح والانتخاب. ولعلى أختلف مع نقاد القانون فى هذه النقطة، ولعلى أرى أن حرمان المستقلين حسنة تحسب للقانون. وعلى أى حال فإننى من أنصار الانتخاب بالقائمة النسبية فهو لا يهدر صوتاً، وهو يدير الانتخاب حول المبادىء والأحزاب لا الأفراد والعصبيات، وهو يتيح للمواطنين تربية سياسية أفضل، ولكننى أعترض بطبيعة الحال على نسبة الـ٨٪ ولا أقترح تخفيضاً لها فحسب، ولكنى أتمنى حذفها بإطلاق، على أساس أنه من حق أى جمع من الناس أن يمثل فى المجلس بنسبة أنصاره. بل إنى معجب بالنظام الذى يجعل من الوطن كله دائرة واحدة، ويترك لكل حزب ترجمة النسبة الفائز بها إلى أعضاء. ولا ضرر من أن يقوى

الحزب نتيجة لذلك وتشتد هيمنته على أفراده . فلا تناقض بين الحزب وأعضائه ، فضلاً عن أن قوة الحزب غاية مرجوة في الحياة الديمقراطية . أما المستقلون فلا يستحقون أن تكون لهم قضية ، لأنه الأولى ألا يكون لهم وجود . فطالما أن المبادئ مشروعة والانتماء إليها حر من كل قيد ـــ وهو ما ينبغي أن يكون ـــ فالطبيعي والمنطقي أن يجد الفرد في أحدها مأواه السياسي والاجتماعي المناسب ، أو أقرب مأوى إليه على الأقل ، ولا يعني الاستقلال بعد ذلك لمن يرغب في العمل السياسي إلا عجزاً في التفكير، أو تهاوناً فيه ، أو خوفاً من إعلانه ، أو التماساً لموقع آمن يستطيع أن يتعامل منه مع الجميع ، وهي انتهازية عانينا منها في الماضي ، ولا نود لها أن تتكرر في الحاضر أو المستقبل ، فلنعدل القانون ، بل لنعد النظر في الدستور ، ولكن استزادة من العدل والحرية والنضج .

١٩٨٥/١/٣ .

الدستور الغائب

قطعت فى هذه الدنيا مرحلة طويلة من العمر، خبرت فيها تجارب شتى من السرور والألم يضيق المقام عن حديثها، ولكن لعله لا يضيق عن معالم معدودة يمكن اعتبارها رموزاً لقيم لا أذوق للحياة معنى بدونها، من أقدمها وأرسخها الإيمان بالله ورسله، وما يضفيه ذلك على دنيانا من قداسة وأنوار مهما اعتراها من شوائب ونكسات، ويليها فى المنزلة من القلب حب هذا الوطن وأهله وتاريخه وآماله وآلامه وركيزته الجوهرية، وهى الوحدة الوطنية بين أبنائه، وحدة صادقة حقيقية لا تفرق بين فرد وفرد بسبب من عقيدة أو رأى أو لون أو عنصر، والوطن والوحدة الوطنية اسمان لمسمى واحد، ونبض لعاطفة واحدة، فلا وطن بلا وحدة، ولا وحدة بلا وطن، وإن أى مساس بحبلها الممدود فى الزمن لهو انقضاض أثيم على قدسيتها لا يقل شناعة فى مجاله عن الشرك بالله فى مجاله.

وثمة إيمان بالوحدة العربية باعتباره دعوة وئام وتعاون وتلاحم موجهة إلى فروع أسرة كبيرة واحدة فرق بينها أطماع الحكم من أبنائها وسياسة الاستعماريين والمستغلين، ولا تناقض فى الواقع بين الوطنية والقومية العربية، كما أنه لا تناقض بينهما وبين الوحدة الإنسانية العامة إذا تهيأت لها القلوب يوماً وسمحت الظروف والأحوال، وانضاف إلى ذلك إيمان بالحرية وأنت تعرف ما أعنيه بها، وقد مارسناه باسم الديمقراطية قديماً وحديثاً، وفى نطاقه تصورنا ما ينبغى أن تكون عليه العلاقة بين الحاكم والمحكومين، وبين المحكومين بعضهم وبعض، والعدالة الاجتماعية، أو مساواة الناس أمام القانون، وفرص الحياة، ومحو الامتيازات البغيضة من المعاملات، وهى هدية ثورة يوليو لشعبنا التى يجب ألا يفرط فيها مهما تنوعت به السبل، كما انضاف إليه إيمان بالعقل وحقه المشروع فى البحث عن الحقيقة فى الطبيعة وما وراء الطبيعة، وقدسية ذلك التى يجب أن تصان للإنسان بما هو إنسان، ومن يتعرض للعقل وحقوقه بأى قيد وإن هان فقد أصاب الإنسان فى صميمه، واقتلع هويته وكرامته. وأخيراً وليس آخراً قيمة الفن والجمال والاستمتاع الإنسانى البرىء بروائعه ورؤاه.

هذه هى حصيلة المرحلة من القيم أو لعلها أهمها وأجدرها بالذكر فى مقام الإيجاز، ولا أقول إنى خصصت بها وحدى، فقد كانت طابع جيل على تفاوت فى الدرجة أو الترتيب، وعشنا بها برغم محن الأيام وتقلبات الدهر زمناً رغداً، وما خطر ببال أحدنا أنه سيجىء يوم يصبح

فيه مجتمعنا موضع اتهام آثم ، أو يوصم بالجاهلية والكفر، ولكن هكذا كان ، فالإيمان بالله ورسله وحده ردة عن الإسلام ، والوطنية بدعة ، والقومية العربية شرك ،والعقل رجز، والفن دعارة ــ وزلزلت الأرض تحت أقدامنا ودارت رءوسنا ، وجمع الحوار بيننا وبين بعض من الرواد الجدد ورحنا نتساءل : ماذا تريدون وفى أى صورة تريدون أن تصوروا دنيانا ودنياكم؟ ماذا لديكم عن الوحدة والحرية والشعب والعقل والفن ، ولن نظفر بجواب شامل قط ، أيعتبر سرًّا من الأسرار؟ أنه لم يتبلورْ بعد؟ تعاقبت الإجابات جزئية ، ولينة متسامحة ، كأنما يراد بها طمأنة السائل وتهدئه خاطره .

ولا أذكر أننى قرأت أبحاثاً فى موضوعات جزئية اختلف فيها الرأى بين اجتهاد واجتهاد، وظل الكل المتكامل غائباً مفتقداً ، بل إن وجود أنواع من الحكم الإسلامى متجاوزة فى باكستان وإيران لم يجل وجه الحقيقة ، فالاختلافات غير قليلة فى الرؤية والعلاقات مشوبة وغير أخوية .. مما ضاعف من أسباب البلبلة ، وأكد الحاجة إلى إبراز وجه الدعوة بكافة معالمها وأبعادها وقسماتها ، وقد مضى عليها فى مصر أكثر من نصف قرن وصوتها يتردد على درجات متفاوتة فى الدرجة تبعاً للظروف والأحوال ، ولكنه انحصر غالباً فى مخاطبة الوجدان والوعظ والإرشاد ، واستخلاص العبر من سير السلف الصالح ، مع بحوث نادرة وجزئية عالجت نظام الحكم أو الاقتصاد .

آن الأوان لإخراج دستور جامع مانع ، يوضح نظام الحكم الجديد بكل تفصيلاته ، والأسلوب الاقتصادى المقترح والحقوق والواجبات ،

وأبعاد الوحدة الوطنية ، ودور العلم والثقافة والفن ، ووظيفة المرأة ، والعلاقة بالعالم وأهله ، حتى يعرف كل مواطن دوره ومستقبله ، والعمل فيما يبدو وليس بعمل فرد فلتتصد له صفوة من الجماعة ، وإنه لجدير بأى جهد يبذل فى سبيل تحقيقه ، ولا غنى عنه فى تأجيله ، ومن واجب واضعيه أن يعرضوه قبل طبعه على المفكرين من المواطنين على اختلاف دياناتهم ، وأن يوسعوا صدورهم لكل رأى أو ملاحظة ، فليس الأمر مجرد إصدار كتاب ، ولكنه ميثاق ومشروع حياة تنعقد آمال على نجاحه أولاً فى مصر، ثم يصير دعوة مفتوحة لكل بلد إسلامى ، بل وربما لكل بلد فى العالم إذا استطاع أن يحقق للإنسان حرية لم توفرها له الأنظمة الأخرى ، وعدالة لم تتيسر فى ظل بقية التجارب ، بالإضافة إلى حياة روحية مدعمة بالقيم والسلوك البشرى القويم .

١٩٨٥/٥/٣١.

ثورة .. ودرس

وهب السودان أمته العربية، بل عالمه الثالث كله، ثورة ودرساً، كان يكابد حكماً شمولياً تجاوزه الزمان دون اكتراث للزمان وأهله. وعانى أزمة اقتصادية قاسية، وعالجها بقرار مفاجىء برفع الدعم دون مراعاة للمعذبين فى الأرض، وعبث بالدعم الذى تقوم عليه وحدته الوطنية، فجر نفسه إلى حافة حرب أهلية. وبقرار طبق الشريعة الإسلامية بدون تأنٍ أو دراسة أو اعتبار لأهل الديانات الأخرى. وطفح الكيل، فكانت ثورة شعبية استجاب لها الجيش بوطنية وحكمة، فحقق من مطالبها ما يمكن تحقيقه فوراً، ومضى يمهد الطريق لتحقيق المطالب الباقية. وما يجوز أن تنسينا الأخطاء إنجازات الرئيس السودانى السابق، وما قدم من خدمات لوطنه خاصة، ولوادى النيل عامة، ولعله هو نفسه خسر موقعه نتيجة للحكم الشمولى وعواقبه التقليدية الوخيمة على الحاكم والمحكوم معاً. والآن فنحن نرجو من صميم قلوبنا

أن يكون الوطن الشقيق قد عرف سبيله السوى وهدفه المرموق، كما نرجو أن ينتفع عالمنا الثالث بالدرس الذى أتاحه للمخلصين. نرجو أن يرسخ الإيمان بالديموقراطية رسوخاً عميقاً لا تردد فيه ولا عدول عنه. نرجو أن يستقر فى النفوس الإيمان بالوحدة الوطنية باعتبارها الأساس المكين والوحيد للحياة الوطنية والواقع الراهن. نرجو لمن يتطلعون إلى حياة إسلامية متطهرة جديرة بتحدى الفساد والانحلال أن يستوصوا بالصبر والتأنى والشورى، وأن يوقنوا بأن تلك الحياة المنشودة لا تخلق بقرار، ولا تفرض على الآخرين بدون رضا واقتناع، ولكنها تولد على مهل بعد تربية ونضال. حقاً لقد وهب السودان أمته العربية ثورة ودرساً، فليهنأ بثورته ولننتفع بدرسه.

١٩٨٥/٦/٦.

المعارضة بين التقليد والتجديد

انطوى عام برلمانى. وحق لمن يتابع نشاطنا السياسى أن يستبشر خيراً بممارستنا الديمقراطية، فالمناخ طيب فى مجلس الشعب، يتيح للرأى الآخر فرصة التعبير، ويفسح له صدره فى رحاب أغلبيته المطلقة.

والمعارضة قد أدت واجبها المتاح، فوجهت الأسئلة والاستجوابات، وطرحت للمناقشة مسائل هامة مما يجب أن يشغل الرأى العام، وعالجت معارضتها بموضوعية، وأحياناً بدقة وعمق وشمول، وجرت مع الحق حيث يكون وإلى ذلك مضت الأحزاب تكون لجانها المختصة، وتنشر قواعدها فى الأقليم محاولة أن تعيد للجموع بعض العافية التى فقدتها أيام القهر والاستبداد.

ولكنا مازلنا نطالب المعارضة بالمزيد من الجهد والنشاط ترسيخاً للديمقراطية، ودعماً للحرية والمسئولية. نحن نأمل منها أن تكمل المسيرة

الديمقراطية إلى غايتها الناصعة الخالية من الاستثناءات والرواسب الماضية، وننتظر من لجانها المتخصصة أن تقدم رؤيتها العلمية للمشكلات الراهنة والحلول الناجعة لها، كما نرجو أن تمتد ندواتها الحوارية إلى الأقاليم لتبث الصحوة المنشودة فى شعب أنهكته ظروف المعيشة، واستأثرت باهتمامه، ونريد منها أن تفتح أبواب الانتماء ليتدفق منها الشباب الضائع عودة إلى الوطنية والمبادىء الإنسانية، وإلى ذلك كله نطالبها بأن تنتشر فى الشارع وتمتزج بالشعب، وتخوص فى همومه، وتحرض كل فرد أيًا كان موقعه على خوض معركة التنمية الشاملة، باعتبارها نهضتنا الحديثة الحاسمة للخروج من الأزمة والتخلف معاً، والانطلاق فى آفاق العصر الذى لن يجود على متخلف بموضع فى معتركه الضارى. هيهات أن نقنع بالمعارضة كنضال بلاغى حماسي ولكنا نريدها فعلاً وخلقاً وإبداعاً وقيادة شعبية نحو غد أفضل.

.١٩٨٥/٧/١١

بين الصحوة والانحراف

الصحوة الدينية حركة بعث صحية ، وانطلاقة روحية لمقاومة الاجتياح المادى وتهافت القيم السامية. وهى بهذا المضمون تشمل العالم كله لا العالم الإسلامى وحده ، وإن صاحبها فى العالم الإسلامى خاصة رغبة فى استهداف الأصالة واستقلال الذات عقب تحرره من مخالب الاستعمار. وهى تصلح أساساً مكيناً لبناء شخصية متكاملة ، جديرة حقاً بمواجهة العصر ومشكلاته ، وتحقيق الذات فيه على مستوى رفيع من التقدم والعطاء ، اعتماداً على فرائضها التقليدية ، وفى مقدمتها تقديس العلم والعمل والتضامن والأخوة الإنسانية والاحترام الكامل لحقوق الإنسان ، ولا خوف منها على وحدتنا الوطنية ولا تطلعاتنا العصرية ، ولا أحلامنا المستقبلية ، باعتبار الدين ثورة دائمة على الجهل والتعصب والفساد ، وتفتحاً دائماً لما ينفع الناس ، ويدفع بهم إلى الأمام فى مجالات القوة والعرفان والقيم ، ولا علاقة لذلك كله

بالانحراف والعنف والإرهاب.، وتجاهل الواقع والزمن، وسر المأساة أن تلك الصحوة النقية صادفها في الطريق ظروف عنت إرهاق ترجع في الغالب إلى أنظمة حكم مستبدة اتسمت بالعجز والفساد، فتراكمت المشكلات، مما أغرى الشباب بالميل إلى أصوات متعصبة عنيفة جاهلة، والانتماء إلى فلسفات بائدة أفرزتها عصور قديمة من الهزيمة والقهر. ولن يتأتى العلاج إلا بإزالة أسباب المرض ودواعيه، وتقديم القدوة الصالحة المقنعة، والعمل الجاد المتواصل للإنتاج. كى نخرج من عنق الزجاجة إلى حياة متوازنة، ينتعش فيها الأمل، ويعود الفرد إلى تفكيره السليم، وأفكاره الصحية، وصحوته الروحية الحقيقية.

.١٩٨٥/٨/١

٢٣ أغسطس

ذكرى الزعيمين الجليلين سعد زغلول ومصطفى النحاس. تجيء في هذه الأعوام الأخيرة مكللة بالنصر في ظل ديمقراطية منتصرة، ووحدة وطنية راسخة، واستقلال قائم، لتذكر الملايين بأن جهاد الزعيمين قد حقق أهدافه وجاد بأجمل ثماره. ولعلها مناسبة طبيعية لمن شاء الحديث عن ثورتنا الشعبية الخالدة ثورة ١٩١٩، وعن شرف الجهاد وقوة التضحية وتحدى أكبر إمبراطورية عرفها التاريخ، وأعرق عرش استبدادى عرفه الوجود الإنسانى، ولكن قد قيل فى ذلك كل قول، كما سجل فى المذكرات والكتب. وإذن فحسبى أن أسأل — كما فعلت فى ذكرى ثورة يوليو — عما يجب أن يبقى من الزعيمين باعتباره رسالة خالدة يجب أن تتجدد مع الأيام والأجيال، وأن نفى لها وفاء المخلصين للمقدسات. وتستوى على رأس الوصية وحدتنا الوطنية التى خلقت من أبناء مصر شعباً واحداً يعيش فى أحضان

الانتماء على قدم ثابتة من المساواة فى الحقوق والواجبات، وفى كنف وحدة متماسكة لا انفصام لها مهما اختلفت بهم سبل الرؤى والعقائد والأفكار، وما هى بالحلم الخيالى، فقد تحققت على أرض الواقع، وضربت مثلاً جميلاً تمناه فى جهاده قديس القرن العشرين المهاتما غاندى. ويتلوها فى الترتيب، ويساويها فى الأهمية الديمقراطية، حكم الشعب بالشعب، من أجل الشعب، حكم الكرامة والعزة، والسبيل الممهد للطهارة والتقدم والعدالة الاجتماعية. كم من ضحايا استشهدوا فى إبان الثورة، وعلى مدى الأعوام، حتى قيام ثورة يوليو، بل وبعد قيامها، مستهدفين من نضالهم غاية أولى، هى الحرية وحكم الشعب. هذا ما يجب أن يبقى من ثورة ١٩١٩ وزعيميها الجليلين سعد زغلول ومصطفى النحاس، وحسبهما أن يكون اسماهما مرادفين للحرية والوحدة الوطنية.

١٩٨٥/٨/٢٢.

مجلس الشعب والإعلام

عما قليل يستأنف مجلس الشعب نشاطه ، ويفتتح دورة جديدة من عمره يواصل بها مساهمته الفعالة فى الحكم وتأصيل الديمقراطية ، وبهذه المناسبة السعيدة نقول : إن مجلسنا الشعبى لا يحظى بحقه الكامل فى أجهزة الإعلام من صحافة وإذاعة وتليفزيون .

إنه يحظى باهتمام غير منكور، ولكنه لا يرتقى إلى الكمال الواجب المناسب لمنزلته وقيمته فى حياتنا ، وحسبك أن تقارن بين ما يخصص له فى هذه الأجهزة وبين ما يخصص للسلطة التنفيذية أو الألعاب الرياضية .

ونحن نشيد كثيراً بالديمقراطية فكيف نضن على صوتها ــ حكومة ومعارضة ــ بما يستحقه من ذيوع وانتشار ليبلغ كل أذن ويستقر فى كل قلب ، من الواجب أن نعتبر ما يدور فى المجلس حواراً تاريخيًّا له جلاله وقدسيته ، وأن ننقله للناس جملة جملة ، دون حذف أو تلخيص

أو تجاهل، كأنه صورة من المضبطة، أو نص مسرحى لا يجوز الخروج عنه، مع تسجيل المؤثرات المختلفة التى تصاحبه مثل الضحك أو صيحات الاحتجاج، ليعيش القارىء أو المشاهد النص والجو، ويندمج فى حياة المجلس اندماج المشاركة الفعلية والوجدانية.

إنه حق المجلس، وحق الشعب الذى انتخبه، وواجب الأجهزة التى تنتمى فى النهاية إلى المجلس والشعب، ومما يذكر فى هذا الشأن أنه فى أثناء الحرب العظمى الثانية، ومع إعلان الأحكام العرفية وفرض الرقابة الشاملة صدر قانون أو قرار يستثنى البرلمان من كافة أنواع الرقابة، ويوجب نشر ما يدور فيه، فكان البرلمان منطقة حرة يصدر إلينا ما يتيسر من الحقائق وآراء المعارضة.. حق المجلس فى ذلك لا يناقش، وعليه أن يطالب بحقه إذا وجد تهاوناً فيه، وهو الساهر على حقوق الناس كافة.

ونحن لا نطالب له إلا بالمساواة مع الحكومة والألعاب الرياضية، وليس ذلك على الديمقراطية بكثير.

.١٩٨٥/١١/٧

أعوام الجهاد القادمة

في الأعوام الأربعة الماضية شخصنا أمراضنا الاقتصادية والاجتماعية تشخيصاً صادقاً، فعرفنا الطريق إلى العلاج والشفاء، وبدأنا السير فيه بجهد غير منكور، واعترضتنا حوادث فلقنتنا درساً مرًّا، ونبهتنا إلى أن الجهد المبذول في العمل هو دون المطلوب والضروري والواجب، وأن المسألة ليست تنفيذ خطة خمسية، ولكنها في الحقيقة ثورة أخلاقية علمية، وسيلتها الاعتماد على الذات، وهدفها التحرر من التبعية، وتحقيق الذات في محيط العصر على أصول من القومية والكرامة الوطنية، فإما حياة كريمة مناضلة مبدعة، وإما الضياع في أحضان الخنوع والتسول، ولن يتأتى لنا ما نريد بالكلام الطيب أو الشعار الجميل أو الحماس الفارغ، ولكنه يتأتى بالعزيمة الصلبة والعمل الجاد، وبتغيير النظرة والرؤية إلى الأشياء، وتقبل التضحية والعناء ـ وطبعاً لا أقصد الطبقة التي فرضت عليها التضحية والعناء طيلة الأعوام الماضية دون اختيار ـ لذلك يجب إعادة النظر في

كل شيء دون إنكار للعمل السابق. علينا أن نعتبر الاقتراض لعنة والاستمرار فيه جريمة، وأن نتوقف عنه مهما كلفنا ذلك. علينا أن نعتبر إنفاق أى مليم دون ضرورة خيانة وطنية يستحق مرتكبها عقوبة تاجر السموم البيضاء. علينا أن نضاعف العمل بدون تسامح مع مهمل أو كسلان، ولو غيرنا جميع القوانين الخاصة بالعمل. علينا أن نجدد الإدارة والخدمات، ونسهر على التنفيذ دون رحمة بالمخالفين. علينا أن نطارد المنحرفين بحزم مضاعف لنعيد الثقة بين الشعب والحكومة. علينا أن نعامل المواطنين بالعدل والمساواة، وأن نطهر وجه الحرية من كل شائبة، وأن نمحق القيود والاستثناءات التى تقف عثرة فى طريق الإرادة الشعبية. نحن مقبلون على فترة جهاد، ولكى يشارك الشعب فيها بقلبه ووجدانه يجب أن ينال حقوقه، وأن يسترد ثقته فى القيم والرجال.

١٩٨٥/١١/٢٨.

حياته

نجيب محفوظ عبدالعزيز إبراهيم أحمد الباشا.. هذا هو اسمه بالكامل.. أما اسمه الأول فهو نجيب محفوظ على اسم طبيب الولادة الشهير فى ذلك الوقت..

ولد فى الحادى عشر من ديسمبر عام ١٩١١ بحى الجمالية لأب موظف ثم تاجر.. وهو أخ لأربع أخوات وأخوين، ولدوا وماتوا بالترتيب جميعاً..

التحق بالكتّاب، ثم بالمدرسة الابتدائية، ثم بمدرسة فؤاد الأول الثانوية، ثم بكلية الآداب، قسم الفلسفة، جامعة القاهرة التى تخرج فيها عام ١٩٣٤..

بعد أن سجل رسالة الماچستير تحت إشراف الشيخ مصطفى عبدالرازق بعنوان «مفهوم الجمال فى الفلسفة الإسلامية» اتجه إلى الأدب تماماً وانفصل عن الدراسات الأكاديمية..

تزوج عام ١٩٥٤ وأنجب ابنتين..

ولقد تدرج فى الوظائف: فعين كاتباً عام ١٩٣٤ بإدارة الجامعة حتى عام ١٩٣٨ حين عمل سكرتيراً للشيخ مصطفى عبد الرازق وزير الأوقاف حتى سنة ١٩٤٥ فنقل إلى مكتبة الغورى، ثم مديراً لمؤسسة القرض الحسن، بعدها عمل مديراً لمكتب فتحى رضوان وزير الإرشاد، فمديراً للرقابة على المصنفات الفنية، فمديراً عامًّا لمؤسسة دعم السينما، فمستشاراً للمؤسسة العامة للسينما والإذاعة والتليفزيون، فرئيساً لمجلس الادارة، فمستشاراً لوزير الثقافة حتى أحيل إلى المعاش فى نوفمبر ١٩٧١ بعدها، وفى ديسمبر انضم إلى أسرة كتّاب جريدة الأهرام، وحتى الآن..

وقد حصل على العديد من الجوائز والأوسمة قبل فوزه بجائزة نوبل، ففاز بجائزة قوت القلوب الدمرداشية عن رواية «رادوبيس» عام ١٩٤٣، وفاز بجائزة وزارة المعارف عن رواية «كفاح طيبة» عام ١٩٤٤، وفاز بجائزة مجمع اللغة العربية عن رواية «خان الخليلى» عام ١٩٤٦، وفاز بجائزة الدولة التشجيعية فى الأدب عن رواية «قصر الشوق» عام ١٩٥٧، وحصل على وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى عام ١٩٦٢، وفاز بجائزة الدولة التقديرية فى الأدب عام ١٩٧٠، وحصل على جائزة رابطة التضامن الفرنسية العربية عن «الثلاثية» ومنح الدكتوراه الفخرية من جامعة المنيا عام ١٩٨٤ وحصل على قلادة النيل عام ١٩٨٨ ومنح الدكتوراه الفخرية من جامعة القاهرة عام ١٩٨٩..

وقد كان للمقاهى ولا يزال دور هام فى حياته وأعماله ، فهى تمثل بالنسبة له النادى الاجتماعى والصالون الأدبى ، فهو لم ينضم إلى نادٍ ، ولم يرتد أو ينشئ صالوناً ، وهى تمثل كذلك المسرح والسينما ، خاصة بعد أن انقطع عن ارتيادهما نتيجة لضعف بصره وسمعه جميعاً ، وهى تمثل أخيراً الرحلة اليومية والموسمية معاً خاصة أنه لا يميل بطبعه للسفر، باستثناء سفره الصيفى إلى الإسكندرية.. ومن أهم هذه المقاهى والتى اشتهرت بتردده عليها : مقهى عرابى بالعباسية ، مقهى الفيشاوى بالحسين ، كازينو الأوبرا ، مقهى لونابارك وكازينو بترو وفندق سان استيفانو بالإسكندرية ، كازينو قصر النيل ، مقهى ريش ، وأخيراً مقهى على بابا بميدان التحرير بالقاهرة .

وأعماله

(أ) الروايــة :

١ـ عبث الأقدار ١٩٣٩
٢ـ رادوبيس ١٩٤٣
٣ـ كفاح طيبة ١٩٤٤
٤ـ القاهرة الجديدة ١٩٤٥
٥ـ خان الخليلى ١٩٤٦
٦ـ زقاق المدق ١٩٤٧
٧ـ السراب ١٩٤٨

٨- بداية ونهاية ١٩٤٩
٩- بين القصرين ١٩٥٦
١٠- قصر الشوق ١٩٥٧
١١- السكرية ١٩٥٧
١٢- أولا حارتنا ١٩٦٠
١٣- اللص والكلاب ١٩٦١
١٤- السمان والخريف ١٩٦٢
١٥- الطريق ١٩٦٤
١٦- الشحاذ ١٩٦٥
١٧- ثرثرة فوق النيل ١٩٦٦
١٨- ميرامار ١٩٦٧
١٩- المرايا ١٩٧٢
٢٠- الحب تحت المطر ١٩٧٣
٢١- الكرنك ١٩٧٤
٢٢- حكايات حارتنا ١٩٧٥
٢٣- قلب الليل ١٩٧٥
٢٤- حضرة المحترم ١٩٧٥
٢٥- ملحمة الحرافيش ١٩٧٧
٢٦- عصر الحب ١٩٨٠
٢٧- أفراح القبة ١٩٨١
٢٨- ليالى ألف ليلة ١٩٨٢

٢٩- الباقى من الزمن ساعة ١٩٨٢
٣٠- رحلة ابن فطوطة ١٩٨٣
٣١- العائش فى الحقيقة ١٩٨٥
٣٢- يوم قتل الزعيم ١٩٨٥
٣٣- حديث الصباح والمساء ١٩٨٧
٣٤- قشتمر ١٩٨٨

(ب) القصص القصيرة:

٣٥- همس الجنون ١٩٣٨
٣٦- دنيا الله ١٩٦٣
٣٧- بيت سيئ السمعة ١٩٦٥
٣٨- خمارة القط الأسود ١٩٦٩
٣٩- تحت المظلة ١٩٦٩
٤٠- حكاية بلا بداية ولا نهاية ١٩٧١
٤١- شهر العسل ١٩٧١
٤٢- الجريمة ١٩٧٣
٤٣- الحب فوق هضبة الهرم ١٩٧٩
٤٤- الشيطان يعظ ١٩٧٩
٤٥- رأيت فيما يرى النائم ١٩٨٢
٤٦- التنظيم السرى ١٩٨٤
٤٧- صباح الورد ١٩٨٧

٤٨ـ الفجر الكاذب ١٩٨٩

(جـ) الترجمات والحوارات:

٤٩ـمصرالقديمة ١٩٣٢

٥٠ـ أمام العرش ١٩٨٣

(د) كتب للأطفال:

٥١ـ عجائب الأقدار.

(هـ) المقالات:

٥٢ـ حول الدين والديمقراطية

٥٣ـ حول الشباب والحرية

٥٤ـ حول الثقافة والتعليم

*** وتنوى الدار المصرية اللبنانية ــبإذن اللهــ مواصلة نشر مقالاته التى كان قد بدأها عام ١٩٣٤ ونشرت فى المجلات والصحف المختلفة داخل وخارج مصر.**

(و) المسرحيات:

سبع مسرحيات من ذات الفصل الواحد، خمس منها فى مجموعة « تحت المظلة » وهى:

١ ــ يميت ويُحْيى.

٢ ــ التركــة.

٣ ــ النجاة .
٤ ــ مشروع للمناقشة .
٥ ــ المهمة .

ومسرحيتان فى مجموعة « الشيطان يعظ » هما :

٦ ــ الجيل .   ٧ ــ الشيطان يعظ .

* أعد مصطفى بهجت مصطفى المسرحيات الثلاث الأولى وحوّلها إلى العامية ، وأخرجها أحمد عبدالحليم على مسرح الجيب عام ١٩٦٩ بعنوان « تحت المظلة » . .

(ز) الروايات والقصص التى أعدت للمسرح :

١ ــ زقاق المدق : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج كمال يس ١٩٥٨ .
زقاق المدق : إعداد بهجت قمر ، إخراج كمال يس ١٩٨٤ .
٢ ــ بداية ونهاية : إعداد أنور فتح الله ، إخراج عبدالرحيم الزرقانى ١٩٦٠ .
بداية ونهاية : إعداد أحمد عبدالمعطى ، إخراج فتحى الحكيم ١٩٧٦ .
بداية ونهاية : إعداد أنور فتح الله ، إخراج عبدالغفار عودة ١٩٨٦ .
٣ ــ بين القصرين : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج صلاح منصور ١٩٦٠ .
٤ ــ قصر الشوق : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج كمال يس ١٩٦١ .

٥ ــ اللص والكلاب : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج حمدى غيث ١٩٦٢ .
٦ ــ الجوع : إعداد فايز حلاوة وإخراجه (قهوة التوتة) ١٩٦٢ .
٧ ــ خان الخليلي : إعداد صلاح طنطاوى ، إخراج حسين كمال ١٩٦٣ .
٨ ــ روض الفرج : إعداد صلاح طنطاوى ، إخراج حسين كمال ١٩٦٤ .
٩ ــ ميرامار : إعداد نجيب سرور ، وإخراجه ١٩٦٩ .
١٠ ـ القاهرة ٨٠ : إعداد سمير العصفورى ، وإخراجه ١٩٨٩ .
١١ ـ حارة العشاق إعداد أحمد عبد المعطى وإخراج أحمد هانى ١٩٨٩ .

(ح) السيناريوهات :

١ ــ المنتقم : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٤٧ .
٢ ــ عنتر وعبلة : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٤٨ .
٣ ــ لك يوم يا ظالم : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة إميل زولا «تريز راكان» ١٩٥١ .
٤ ــ ريا وسكينة : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٣ .
٥ ــ الوحش : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٤ .
٦ ــ جعلونى مجرماً : إخراج عاطف سالم ١٩٥٤ .
٧ ــ فتوات الحسينية : إخراج نيازى مصطفى ١٩٥٤ .
٨ ــ شباب امرأة : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة أمين يوسف غراب ١٩٥٥ .

٩ــ درب المهابيل : إخراج توفيق صالح ١٩٥٥ .
١٠ـ النمرود : إخراج عاطف سالم ١٩٥٦ .
١١ـ الفتوة : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٧ .
١٢ـ الطريق المسدود : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة إحسان عبد القدوس ١٩٥٨ .
١٣ـ الهاربة : إخراج حسن رمزى ١٩٥٨ .
١٤ـ أنا حرة : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة إحسان عبد القدوس ١٩٥٩ .
١٥ـ إحنا التلامذة : إخراج عاطف سالم ١٩٥٩ .
١٦ـ بين السماء والأرض : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٩ .
١٧ـ جميلة : إخراج يوسف شاهين ، عن قصة يوسف السباعى ١٩٥٩ .
١٨ـ الناصر صلاح الدين : إخراج يوسف شاهين ، عن قصة يوسف السباعى ١٩٦٣ .
١٩ـ ثمن الحرية : إخراج نور الدمرداش ١٩٦٥ .
٢٠ـ الاختيار: إخراج يوسف شاهين ١٩٧١ .
٢١ـ دلال المصرية : إخراج حسن الإمام ١٩٧١ .
٢٢ـ ذات الوجهين : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٧٣ .
٢٣ـ المذنبون : إخراج سعيد مرزوق ١٩٧٦ .
٢٤ـ المجرم : إخراج صلاح أبو سيف (لك يوم يا ظالم) ١٩٧٨ .
٢٥ـ وكالة البلح : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٨٣ .

(ط) الروايات والقصص التى أعدت للسينما :

١- بداية ونهاية : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٦٠ .
٢- زقاق المدق : إخراج حسن الإمام ١٩٦٣ .
٣- اللص والكلاب : إخراج كمال الشيخ ١٩٦٣ .
٤- بين القصرين : إخراج حسن الإمام ١٩٦٤ .
٥- الطريق : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٦٤ .
٦- خان الخليلى : إخراج عاطف سالم ١٩٦٦ .
٧- القاهرة ٣٠ : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٦٦ .
٨- قصر الشوق : إخراج حسن الإمام ١٩٦٧ .
٩- السمان والخريف : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٦٨ .
١٠- ميرامار: إخراج كمال الشيخ ١٩٦٩ .
١١- السراب : إخراج أنور الشناوى ١٩٧٠ .
١٢- ثرثرة فوق النيل : إخراج حسين كمال ١٩٧١ .
١٣- صور ممنوعة : إخراج مدكور ثابت ، من خمارة القط الأسود ١٩٧٢ .
١٤- السكرية : إخراج حسن الإمام ١٩٧٣ .
١٥- الشحات : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٧٣ .
١٦- أميرة حبى أنا : إخراج حسن الإمام ، من المرايا ١٩٧٤ .
١٧- الكرنك : إخراج على بدرخان ١٩٧٥ .
١٨- الحب تحت المطر: إخراج حسين كمال ١٩٧٥ .
١٩- الشريدة : إخراج أشرف فهمى ، من همس الجنون ١٩٨٠ .
٢٠- فتوات بولاق : إخراج يحيى العلمى ، من حكايات حارتنا ١٩٨١ .

٢١- أهل القمة : إخراج على بدرخان ، من الحب فوق هضبة الهرم ١٩٨١ .
٢٢- الشيطان يعظ : إخراج أشرف فهمى ١٩٨١ .
٢٣- أيوب : إخراج هانى لاشين ، من الشيطان يعظ ١٩٨٤ .
٢٤- الخادمة : إخراج أشرف فهمى ، من خمارة القط الأسود ١٩٨٤ .
٢٥- دنيا الله : إخراج حسن الإمام ١٩٨٥ .
٢٦- شهد الملكة:إخراج حسام الدين مصطفى من ملحمة الحرافيش ١٩٨٥ .
٢٧- المطارد : إخراج سمير سيف ، من ملحمة الحرافيش ١٩٨٥ .
٢٨- التوت والنبوت : إخراج نيازى مصطفى ، من ملحمة الحرافيش ١٩٨٥ .
٢٩- الحب فوق هضبة الهرم : إخراج عاطف الطيب ١٩٨٦ .
٣٠- الحرافيش : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٨٦ .
٣١- الجوع : إخراج على بدرخان ، من ملحمة الحرافيش ١٩٨٦ .
٣٢- عصر الحب : إخراج حسن الإمام ١٩٨٦ .
٣٣- وصمة عار: إخراج أشرف فهمى (الطريق) ١٩٨٦ .
٣٤- أصدقاء الشيطان : إخراج أحمد ياسين ، من ملحمة الحرافيش ١٩٨٨ :

(ى) الكتب المترجمة إلى اللغات المختلفة :

١ــ زقاق المدق : الإنجليزية،الفرنسية،الألمانية،الصينية،السويدية
٢ــ بداية ونهاية : الإنجليزية،الصينية

٣ـــ بين القصرين الإنجليزية ، الفرنسية ، الألمانية ، الصينية ، السويدية
٤ ـــ قصر الشوق : الإنجليزية ، الفرنسية ، الألمانية ، الصينية
٥ ـــ السكريـــة : الإنجليزية ، الصينية
٦ـــ اللص والكلاب : الإنجليزية ، الفرنسية ، الصينية
٧ـــ الشحاذ : الإنجليزية ، الصينية
٨ـــ الكرنك : الصينية
٩ـــ ثرثرة فوق النيل : الإنجليزية ، الألمانية
١٠- يوم قتل الزعيم : الانجليزية ، السويدية
١١- أفراح القبة : الإنجليزية
١٢- أولاد حارتنا : الانجليزية ، الألمانية
١٣- المرايا : الإنجليزية
١٤- دنيا الله : الإنجليزية
١٥- الطريق : الإنجليزية
١٦- حضرة المحترم : الإنجليزية
١٧- ميرامار : الإنجليزية
١٨- السمان والخريف : الإنجليزية
١٩- رادوبيس : الصينية
٢٠- الحرافيش : الصينية

* وهى كتب صدرت قبل إعلان فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل ، وقد تم التعاقد بعد ذلك عن طريق إدارة النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة على ترجمة العديد من الكتب إلى معظم لغات العالم وهى فى سبيلها إلى النشر.

محتويات الكتاب